الجماهيريـــة العربيـــة الليبيـــة الشعبيـــة الاشتراكيـــة العظمـــى

كلية الآداب / البيضـاء
قســــم التاريـــــخ

جامعـة عمـــر المختــار
إدارة الدراسات العليا

دور بني هلال السياسي والاجتماعي في إفريقية والأندلس
من منتصف القرن الخامس الهجري إلى أوائل القرن السابع الهجري
1050 - 1218 م

دراسة مقدمة لنيل درجة التخصص العالي (الماجستير) في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

عائشة جاب الله عبد الله

إشـــــراف:

د. صالح مصطفى المزيني

2009/2008

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }

صدق الله العظيم

سورة الحجرات ، الآية (13)

برواية الإمام / قالـــــــــون

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى أبي وأمي

العزيزين وإلى أبنتي

(غيـــداء)

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور / **صالح مصطفى المزيني** الذي قام بالإشراف على هذه الدراسة

وقدم لي العون والمساعدة

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى عضوي المناقشة

الأستاذ الدكتور / **صالح معيوف مفتاح**

والأستاذ الدكتور / **عبد الواحد عبد السلام شعيب**

كذلك أتقدم بالشكل الجزيل إلى الأستاذ الدكتور / **عبدالجواد عباس**

الذي قام بتصحيح هذا العمل لغوياً

وإلى الأخوة العاملين بالمكتبة المركزية

كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

داعية المولى عز وجل أن يظل الجميع بفيض رعايته

الفهرس

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

أحدثت هجرة قبائل بني هلال إلى أفريقية ، جدلاً بين المؤرخين من مستشرقين وباحثين عرب ، وقد نسب المستشرقون الأوائل مثل جورج مارسيه دمار أفريقية وخرابها ، إلى قبائل بني هلال ، وتبعهم في هذا الاعتقاد الكثير من المؤرخين العرب ، وظهر من بين المستشرقين من يقول بأنهم لم يكونوا وحدهم المسببين لذلك ، ولكن هؤلاء المؤرخين لم يتعرضوا إلى دراسة هذه الظاهرة من ناحية تاريخية ، وحتى الذين درسوا هذه الهجرة ، قاموا بدراستها دون أن يثبتوا أن قبائل بني هلال لم تكن هي المسبب الحقيقي لهذه الأزمة ، التي اعترت أفريقية في القرن الخامس الهجري ، وما أراده المستشرقون هو إحداث انقسام في المجتمع العربي في بلاد المغرب ، فأرادوا أن يبرزوا أن قبائل بني هلال العربية ، هي وراء أضعاف أفريقية خاصة وبلاد المغرب عامة ، باعتبارها موطناً للقبائل البربرية .

سأحاول من خلال هذا البحث تسليط الضوء على هجرة قبائل بني هلال ، وعلى دورهم السياسي والاجتماعي في أفريقية والأندلس، وذلك لإثبات صحة ما قال به المستشرقون من عدمه ، في ضوء ما توفر من مصادر ومراجع ، وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، حمل الفصل الأول عنوان (بنو هلال أصلهم وموطنهم) ، وقد تعرض فيه أولاً للجذور التي تنتمي إليها هذه القبائل ، ثم موطن قبائل بني هلال ، وتحدث عن أصل بني سليم وموطنهم لأنهم كانوا مع قبائل بني هلال أثناء الهجرة إلى أفريقية، ثم تناولت الدراسة أوضاع بني هلال وبني سليم قبل الإسلام وتطرقت للحياة القبلية ، وعلاقة قبائل بني هلال وبني سليم بغيرهم من القبائل، وإعطاء نبذة عن الحياة القبلية لقبائل بني هلال وبني سليم في الإسلام ، وعن موقفهما من الإسلام ، ثم عن علاقتهما بالدولة الأموية والعباسية ، وأخيراً تطرقت الدراسة إلى انضمامهما إلى القرامطة وانتقالهما إلى الشام ومنها إلى مصر .

أما الفصل الثاني فكان بعنوان أسباب هجرة قبائل بني هلال إلى أفريقية فقد حاولت الدراسة إيضاح الأوضاع السياسية والاقتصادية للدولة الفاطمية ، وإمارة بني زيري بالإضافة إلى الحديث عن الأسباب الدينية ، والتي ربما شكلت مجتمعةً الأسباب لهجرة هذه القبائل ، فذكرت الدراسة عند الحديث عن الأسباب السياسية ، الاضطرابات في أرجاء الدولة الفاطمية ، وعن إعلان المعز بن باديس الانفصال عن الدولة الفاطمية ، ثم تطرقت الدراسة عند الحديث عن الأسباب الاقتصادية لأحوال مصر الاقتصادية في هذه الفترة ، وتحدثت عن رغبة الفاطميين في التخلص من قبائل بني هلال ، أما عند الحديث عن الأسباب الدينية والتي حوت عنصرين فقد تناولت الدراسة محاولة فرض الفاطميين المذهب الشيعي واضطهادهم للأهالي ، ثم ثورة أهالي المغرب على هذا المذهب ، ثم عرجت للحديث عن دخول قبائل بني هلال إلى أفريقية وعن موقف المعز بن باديس من هذه القبائل ، ودخول هذه القبائل إلى القيروان .

الفصل الثالث وقد حمل عنوان جهاد قبائل بني هلال في أفريقية و الأندلس وعن دفاع قبائل بني هلال عن المهدية وطرابلس ، وسيتعرض إلى ذكر معركة حصن الديماس ، أما المبحث الثاني فكان بعنوان استعانة الموحدين بقبائل بني هلال ، ودورهم في دعم الموحدين ومساندتهم لهم ، ثم سأتحدث عن دورهم السياسي وما أحدثه تدخل قبائل بني هلال من تغيير في جوهر نظام الحكم لدى الموحدين وتحويله إلى حكم وراثي ، وعند الحديث عن جهادهم في الأندلس وهو العنصر الثالث ، تطرقت الدراسة إلى حروبهم مع الموحدين في معارك فحص الجلاب وشنترين والأرك .

أما الفصل الرابع ، المتعلق بالآثار العامة لهجرة قبائل بني هلال إلى أفريقية فقد حوى ثلاثة عناصر ، تناول العنصر الأول الآثار السياسية ، وتأسيس إمارة قابس ضعف الأمارة الزيرية الذي ترتب عليه طمع النورمان في أفريقية ، كما تناول العنصر الثاني ، الآثار الاقتصادية حيث ركز من خلاله على الزراعة والصناعة والتجارة في أفريقية ، في فترة تواجد قبائل بني هلال في أفريقية وبعدها ، من خلال كتب المؤرخين الجغرافيين ، أما العنصر الثالث والأخير فكان بعنوان الآثار

الاجتماعية وتحدثت فيه عن الآثار الاجتماعية والثقافية لهجرة قبائل بني هلال وما أحدثته هذه الهجرة من تغيير اجتماعي ثقافي في أفريقية .

وقد اعتمدت دراسة هذا الموضوع على عدد كبير من المصادر التاريخية وكان أهمها "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لمؤلفه ابن عذارى المراكشي وهو مؤرخ مغربي عاش في أواخر عصر الموحدين، يقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، استفدت كثيراً من الجزء الأول ، الذي تحدث فيه مؤلفه عن أخبار أفريقية من بداية الفتح العربي في عهد عثمان بن عفان ، ويبدأ في تسلسل الأحداث إلى أن يصل إلى قيام الدولة الفاطمية، ثم انتقالها إلى مصر ويورد أخبار أمراء بني زيري ، ويذكر دخول قبائل بني هلال وبني سليم إلى أفريقية، وما جرى من أحداث ويستمر في سرد الأحداث إلى قيام دولة الموحدين.

كان أسلوب ابن عذارى أسلوب الحوليات ، وهو سرد الأحداث سنة بسنة ويفتقر هذا الأسلوب إلى وحدة الموضوع ، وبالتالي تبقى المعلومة التاريخية غير كاملة .

كما اعتمدت الدراسة على كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" . لصاحبه عبد الرحمن ابن خلدون ، وهو مولود في تونس سنة 732 هـ ، كانت استفادتي كبيرة من هذا الكتاب وخاصة الجزء السادس الذي تحدث فيه عن القبائل في أفريقية بالإضافة إلى الدول التي قامت في بلاد المغرب ، وحديثه عن قبائل بني هلال وبني سليم ووصولها إلى أفريقية ، وما جرى من أحداث ، اعتمد مؤلف الكتاب على التسلسل لتاريخي للأحداث .

وهناك مصدراً آخر يحمل عنوان "المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين" ومؤلف هذا الكتاب هو عبد الملك بن محمد صاحب الصلاة الباجي ويعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ الدولة الموحدية، ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء ، وكانت استفادتي كبيرة من الجزء الثاني الذي تحدث فيه عن دولة الموحدين والأحداث التي واكبت قيام هذه الدولة ، وحروبها ضد النصارى في الأندلس ، فقد كان ابن صاحب الصلاة واحداً من الذين عاشوا أحداث

تلك الفترة ، لذا اعتمدت عليه كثيراً عند الحديث عن دور بني هلال وجهادهم في الأندلس ، والجزء الثاني يبدأ فيه المؤلف بسرد الأحداث من سنة 554 هـ وينتهي بأحداث سنة 568 هـ ، وقام ابن صاحب الصلاة عند تألفيه لهذا الكتاب ، بتسجيل الأحداث بتواريخها ، واتبع فيه نظام الحوليات .

أما بخصوص الدراسات السابقة ، فقد كانت هناك رسالة ماجستير تحمل عنوان (الهجرة الهلالية إلى أفريقية الزيرية وآثارها العامة) لمؤلفها عبد الجواد الصادق الشيباني، جامعة الفاتح كلية التربية ، 1988ف .

احتوت هذه الرسالة على خمسة فصول ، استفدت من هذه الرسالة في معرفة أهم مصادر هذا الموضوع ، كما استفدت من الفصلين الرابع والخامس، حمل الفصل الرابع عنوان "علاقة العرب الهلاليين بأمراء الدولة الزيرية " الفصل الخامس كان بعنوان " الآثار العامة للهجرة الهلالية إلى أفريقية" .

هناك أيضاً كتاب بعنوان "سيرة بني هلال" لعلي محمد برهانة من منشورات كلية الآداب جامعة سبها ، ط1 ، 1994ف ، احتوى هذا الكتاب على ثلاثة أبواب، استفدت كثيراً من هذا الكتاب .

والذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع تحديداً ، هو ما قيل من قبل المستشرقين ومن تبعهم من المؤرخين العرب ، عن قبائل بني هلال وبني سليم ، وإنها كانت قبائل مخربة دمرت كل ما جاء في طريقها ، ومحاولة الوصول إلى الحقيقية التاريخية عن دور هذه القبائل .

وتتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تناقش موضوعاً شغل حيز من تفكير المهتمين بدراسات تاريخ المغرب الإسلامي ، أثر التغيير في تركيب البنية الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب الإسلامي .

كما أن هذه الدراسة تسعى للغوص في تفاصيل ما أحدثته هذه القبائل من متغيرات إيجابية وسلبية . والفرضية الرئيسية لهذه الدراسة تنطلق من أن قبائل بني هلال وبني سليم قد أحدثت تغيرات إيجابية من مختلف النواحي وكان لها أثر في التغيرات في بلاد المغرب الإسلامي .

وقد حاولت في هذه الدراسة إتباع المنهج المناسب لأحداثها وهو المنهج التاريخي السردي التحليلي ، كما أن الباحثة ستلجأ إلى السرد متى كان ذلك ضرورياً لخدمة الدراسة والأسلوب والنقد والمقارنة إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك .

ويقع المجال الجغرافي لهذه الدراسة في أفريقية والأندلس ، وتغطي الفترة الزمنية الممتدة من منتصف القرن الخامس الهجري ، وهو تاريخ هجرة هذه القبائل من المشرق إلى بلاد المغرب الإسلامي حتى أوائل القرن السابع الهجري وهو تاريخ هزيمة الموحدين أمام الفونسو في معركة العقاب 12 صفر 609 هـ/14 يوليو 1212 ميلادي .

كما أحب أن أذكر بأنه خلال دراستي لهذا الموضوع ، قمت باستجلاب الكثير من الكتب من جمهوريتي مصر وتونس ، إضافة إلى زياراتي العديدة والمتكررة للمكتبة المركزية بجامعة قاريونس ، ومكتبة دار الكتب الوطنية بمدينة بنغازي .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور صالح مفتاح المزيني لما بذله معي من مجهود متواصل طيلة فترة الدراسة ، كما أقدم اعتذاري عن أي خطأ أو تقصير قد وقعتُ فيه .

وبالله التوفيق

الفصل الأول

بنو هلال و بنو سليم أصلهم وموطنهم

أ : أصل بنو هلال وبنو سليم

1 . جذور قبائل بني هلال وبني سليم .

2 . موطن قبائل بني هلال .

3 . نسب بني سليم وموطنهم .

ب : بنو هلال وبنو سليم قبل الإسلام

1 . الحياة القبلية .

2 . علاقة بني هلال وبني سليم بغيرهم من القبائل .

ج : بنو هلال وبنو سليم في الإسلام .

1 . موقفهما من الإسلام .

2 . علاقتهما بالدولتين الأموية والعباسية .

3 . انضمام قبائل بين هلال وبني سليم إلى القرامطة وإنتقالهما إلى الشام ومنها إلى مصر .

1 ـ جذور قبائل بني هلال وبني سليم :-

قسمت قبائل العرب إلى عدة مراتب منها الشعب والقبيلة والعمارة والبطن، وصارت قبائل العرب عشر طبقات هي الجذم والجماهير والشعوب والقبائل والعمائر والبطون والأفخاد والعشائر والفصائل والأرهاط[1] .

ويقدم ابن منظور [2] الشعب على القبيلة ، والقبيلة هي الجماعة التي تنتمي إلى نسب واحد ، ويرجع ذلك النسب إلى جد أعلى ، أو إلى جدة وهو في الأقل .

ويرجع ابن حزم وغيره[3] نسب قبيلة بني هلال إلى هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان من مضر .

وولد هلال بن عامر : شعتة ، ناشرة ، نهيك ، عبد مناف ، عبدالله[4] فمن بني شعتة بنو عبدالله ، ومن بني ناشرة بنو عمر وضالم ، ومن بني نهيك قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد ، وابنه قطن بن قبيصة ، وأبو جامع ابن المخارق بن عبد الله بن شداد ، ومن ولد عبد مناف بن هلال حبيبات بن نهيل[5] ، ومن ولده مسعر ابن كدام الفقيه ، وزينب بنت خزيمة بن الحارث عبد الله بن عمرو، والنزال بن سبرة، له صحبة ، وحميد بن ثور الشاعر ، ومن بني عبد الله بن هلال بن عامر : ميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بجير بن هزم بن رؤبية ، ولبابة الصغرى ، ولبابة الكبرى . ولقبيلة بني هلال عدة بطون هي : بنو قرة ، بنو نعجة ، بنو رياح[6] ، بنو شداد ، بنو جميلة ، بنو عزيز ، بنو فادع[7] .

---

(1) . النويري ، أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ2 ، ط2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1929ف ، ص 261 ما بعدها . الألوسي ، محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تصحيح : محمد بهجت ، جـ2 ، ط3 ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ص 188 .

(2) لسان العرب ، جـ 14 ، د.ط ، الدار المصرية للتأليف ، مصر ، ص57 .

(3) جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، ص273 . ابن فتيبة ، أبو محمد عبد الله ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، ص 87 . عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط8 ، مؤسسة الرسالة ، 1997ف ، بيروت ، ص 87 .

(4) القلقشندي ، أبو العباس ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، 1982ف ، ص118 .

(5) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس ، جـ1 ، ط1 ، دار ليبيا ، بنغازي ، ص202 . النويري ، المصدر السابق . ج2 ، ص319 . ابن حزم ، أبو محمد علي ، المصدر السابق ، ص273 .

(6) ابن حزم ، نفسه ، ص 275 .

(7) السويدي ، محمد أمين ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، د.ط ، دار القلم ، بيروت ، ص 42 .

2 ـ موطن قبائل بني هلال وبني سليم :-

كانت قبائل بني هلال تتقاسم مع غيرها السكنى في شبه الجزيرة العربية ، وتحي حياة البادية التي تتميز بعدم الاستقرار والتنقل من مكان إلى آخر ، طلباً للماء والكلأ الضروري لحياتهم وحياة حيواناتهم من خيل وإبل التي هي عدتهم ووسيلتهم للتنقل في الصحراء ، وفرضت طبيعة شبه الجزيرة القاسية على ساكنيها التنقل من مكان إلى آخر ، فأصبحت الهجرة عندهم أمراً من السهل القيام به في جميع الأوقات[1].

وقد نزلت الحجاز قبائل عربية كثيرة ، والتي منها بني هلال ، وكان بنو هلال يعيشون في نجد حول مكة ، وفي بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان[2] وبين مكة والطائف اثنا عشر فرسخاً[3]، وقد سكن بنو هلال بأرض السرو[4] من ديار وأودية بني هلال : حرة* بني هلال ، وهي بالبريك في طريق اليمن التهامي، ووادي جلدان شرقي الطائف ، بيثة ، وحضرة الرندة وقرن تربة[5] وهو وادي بالقرب من مكة ، على مسافة يومين منها ، وكان بنو هلال يتقاسمون خيرات هذا الوادي من نخيل وفواكه وزرع مع عامر بن ربيعة[6] .

ومن مياه بني هلال : البقعاء ، والبردان وهي ماء بنجد يتقاسمها بنو هلال مع عقيل بني عامر[7] .

والحجاز اثنتا عشرة داراً : المدينة وخيبر وفدك وذو المروة ودار بلى ، ودار أشجع ودار مزنية ودار جهنية دار بعض بني بكر بن معاوية ودار بعض هوازن وجُل سليم وجُل هلال[8] .

---

(1) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص117 .

(2) البكري ، أبو عبيد ، معجم ما استعجم ، تحقيق جمال طلبه ، جـ1 ، دار الكتاب الوطنية ، بيروت ، د.ط ، ص80 . عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص 1221 .

(3) يا قوت ، الحموي ، معجم البلدان ، تحقيق : فريد عبد العزيز ، جـ4 ، د.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص10 . .

(4) مؤلف مجهول ، سيرة بني هلال ، د.ط ، دار الكتب الشعبية ، بيروت ، ص20 .

* حرة :- أرض ذات حجارة سودة نخرة كأنها احترقت بالنار ، ياقوت ، جـ2 ، ص245 .

(5) الهمذاني ، أبو محمد الحسن ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن عبد الله النجدي ، د.ط ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1953 ، ص 50 . الحموي ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص250 . عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص 1221 ،

(6) الحموي ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 21 .

(7) الزبيدي ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص300 .

(8) البكري ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص13 .

3- نسب بني سليم وموطنهم :-

ينتسب بنو سليم على حد قول النسابة[1] إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان ، وهي قبيلة من أكبر قبائل قيس ، وتتفرع إلى عدة عشائر وبطون منها : بنو ذكوان بن رفاعة ، بن رجا بن الحارث ، بنو بهثة ، بنو سماك ، بنو مطرود ، بنو الشريد ، بنو قنفذ، بنو عصية ، بنو ظفر ، بنو عوف ، بنو ثعلبه ، بنو زغب ، بنو دياب ، بنو سليمان ، بنو هيب ، معوية ، بنو عمير ، بجلة ، بنو قتيبة .

سكن بنو سليم الجزء الغربي من نجد ، وكانت أراضيهم تقع بين وادي القرى وخيبر إلى شرقي المدينة المنورة ، ومن بلادهم :- الحجر بالقرب من قلهى ، وذي رولان والجموم والسوارقية وصفنية وبها نخل[2] وأحباب هي بلد بالقرب من السوارقية من نواحي المدينة[3] .

ومن ديار بني سليم :- حرة سليم ، حرة النارين ، ووادي القرى ، وتيماء وغيرها ، ومن جبالهم وأوديتهم ومياههم :- شرودة ، غار ، حمدان ، دروز حوذة ، السلون. آثال ، بردة ، بشأة والوسباء ، الصعبية[4] ومن أحيائهم الحباب[5].

وكانت الرياسة قبل الإسلام لبني الشريد علي بني سليم ، وكانت لهم أيضاً المكانة والسيادة بين القبائل العربية ، وقال الألوسي نقلاً عن ابن الكلبي (كان أبي يقول ... العدد في بني عامر والفرسان في بني سليم) [6] . وتوجت بنو سليم مالك ذو التاج ملكاً عليهم [7].

---

(1) القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق :- إبراهيم الأبياري ، د.ط ، دار الكتاب ، القاهرة ، ص294 . السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم ، الأنساب ، تقديم : عبد الله عمر البارودي ، جـ3 ، ط1 ، دار الجنان ، بيروت ، 1988ف . ابن حزم ، المصدر السابق ، ص261 . الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، جـ3 ، ط3 ، ص 180 . ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص 85 . السويدي ، المصدر السابق ، ص 36 . عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، جـ2 ، ص 543 .

(2) الحموي ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 415 .

(3) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ص 131-171 . الزبيدي ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 201 .

(4)- القلقشندي ، صح الأعشى ، جـ1 ، د.ط ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1922 ، ص 346 . عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص 543-544 .

(5) الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 45 – 335- 199 .

(6) الألوسي ، المصدر السابق ، جـ2 ، ط3 ، ، ص 189 .

(7) ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 261 . جواد علي ، المفصل في تاريخ العربي قبل الإسلام ، جـ4 ، ط2 ، جامعة بغداد ، 1993ف 4 ، ص 518 .

يتفرع من خفصة بن قيس ، بطنان عظيمان هما بنو سليم بن منصور وهوزان بن منصور وهو الجد الرابع لبني هلال ، ولذا فبنو سليم وبنو هلال أبناء عمومة[1] .

تعد قبيلة بني سليم من القبائل المهمة في الحجاز ، حيث اشتهرت أراضيها بالمياه والمعادن ، وكانت تجاور عدداً من القبائل ، مثل هلال وهوازن وغطفان ، وربطتها علاقات اقتصادية مع قريش ، ويذكر جواد علي بأنه كانت لها علاقات باليهود أيضاً [2] .

ب : بنو هلال وبنو سليم قبل الإسلام

1 ـ الحياة القبلية

يقال للقبائل العربية الساكنة في صحاري شبه الجزيرة العربية بأهل الوبر ، وهم الذين يقومون بتربية الإبل ، ويعيشون على ألبانها ولحومها ، ويقيمون حيث تتوفر المياه والكلأ ، وعندما تقل المياه تقل أماكن الرعي ، فينتقلون إلى أماكن أخرى بحثاً عن المياه ، ولذلك فهم دائماً في حل وترحال[3] ويطلق عليهم اسم الأعراب أي سكان البادية[4] .

وكانت القبيلة هي الدولة في ذلك الوقت ، وكانت القبائل في حركة مستمرة تنتقل دائماً بحثاً عن مصادر العشب والماء ، والذي يؤدي دائماً إلى الصراع من أجل الحياة ، وكان القانون السائد بين هذه القبائل قانون "الحق في جانب القوة" وشعارها البقاء للأفضل والأقوى[5] .

كانت القبائل العربية تدخل في أحلاف مع بعضها ، فانتشرت وكثرت هذه الأحلاف في فترة ما قبل الإسلام ، ويتم الحلف عن طريق المواثيق والعهود ومن هذه الأحلاف : حلف الفضول ، حلف المطيبين ، حلف الرباب ، حلف قريش والأحابيش ، كان الغرض من هذه الأحلاف ، هو نصرة المظلوم وحمايته ، وعندما

---

(1) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ 2 ، د.ط ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص 635.

(2) جواد علي ، المرجع السابق ، ص 519 .

(3) ابن العبري ، غريغوريوس الملطي ، مختصر تاريخ الدول ، تقديم انطوان صالحاني ، ط1 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1890، ص 93 . جواد علي ، المرجع السابق ، جـ4 ، ص 271 .

(4) الزبيدي ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص371 .

(5) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، د.ط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص 322 .

جاء الإسلام قال الرسول ﷺ "ما كان من حلفٍ في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة"[1] .

تميز العرب بالكثير من الصفات المتمثلة في الكرم والشجاعة والوفاء والحلم وغيرها ، كما عرفوا بإكرام الضيف ، فقد كانوا يوقدون النار ليلاً ليستدل بها الضيف ، توقد هذه النار في الأماكن المرتفعة لتسهل رؤيتها ، عرفت هذه النار عند العرب باسم نار القرى*[2] وكانت توقد إذا كان الجو صافياً ، أما في الشتاء وأثناء هبوب الريح ، حيث يتعذر إشعالها كانوا يقومون بربط الكلاب إلى العمد لتنبح فيهتدي الضيف على نباحها ، ولذا سميت الكلاب بعدة أسماء منها : داعي الضمير ، متمم النعم ، مشيد الذكر[3] .

كما اتصف العرب أيضاً بالحلم ، وبالقدرة على ضبط النفس عند الغضب ، فعندما يغضب الرجل منهم كان يقال له "إذا ملكت فأسجح" والمقصود هو ضبط النفس ومنعها من الغضب .

اشتهر العرب بالوفاء ، وعرفوا بالغيرة على أعراضهم وحرماتهم ، كانوا حريصين كل الحرص على حفظ أنسابهم والعناية بها ، وكانت الغيرة على الأنساب وراء تمسكهم بأنسابهم وحمايتها ، ومن كثرة غيرة العرب وخوفهم على نسائهم كانوا يئدون البنات خوفاً من العار[4].

كان لكل قبيلة شيخ يرأسها ، يكون من أهل الجاه والعصبية ، وإذا تساووا أفراد القبيلة في العصبية ، قدموا أكبرهم سناً ، وتتم الرياسة في القبيلة بطريقتي الانتخاب والاقتراع ، وكان شيخ القبيلة عادلاً في حكمه ومتواضعاً يجالس جميع أفراد القبيلة ولم يكن له أية ألقاب[5] .

---

[1] صحيح مسلم ، أبي الحسن مسلم ، تقديم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط1 ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، 2005 ، ص 1066 .

* قري الضيف : أضافه ، لسان العرب ، مادة قري .

[2] الألوسي ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 69 . النويري ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 109 .

[3] جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ5 ، د.ط ، دار الهلال ، ص 61 .

[4] الألوسي ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 99 وما بعدها .

[5] جرجي زيدان ، المرجع السابق ، جـ5 ، ص 33 .

وضعت كل قبيلة سمة وعلامة خاصة بها ، تميزها عن سائر القبائل تعرف بها راياتها وتسم بها إبلها مثل الكي بالنار ويسمى الميسم[1] .

عرف العرب عبادة الأوثان والحجارة ، فعندما يزورون مكة يخرجون منها حاملين معهم حجراً من أحجار الحرم تعظيماً للحرم وتعلقاً بمكة ، وعندما يصلون إلى ديارهم يضعونه ويطوفون به ، وكانوا يعظمون الكعبة ومكة[2] ، كانت قبيلة بني سليم كغيرها من القبائل تعبد الأصنام ، وكان لها صنم يدعى "ضمار" عند والد العباس بن مرداس ، وعندما توفى أوصاه بالاعتناء بالصنم[3] ، وكان بنو شيبان من بني سليم سدنة* آلهة قريش اللات ومناة والعزى وكان أخر سدنتها هو ديبة بن حرمي السلمي[4] .

لم تتحدث المصادر التاريخية عن آلهة وأصنام بني هلال ، لكن ربما كان لقبيلة بني هلال صنماً تعبده ، أو حجراً من أحجار الكعبة يعظمونه ويتبركون به ، فلم يكن لهم صنماً خاصاً بهم ، ولكن كانوا يعبدون صنماً يدعى ذو الخلصة ، مع عدد من القبائل العربية وهي بجيلة و خثعم و الحارث بن كعب وجرم وزبيد والغوث بن مرين ، وكان هذا الصنم موجود بين مكة واليمن[5].

للعرب أسواق عدة تقام في كل شهور السنة ، تحضرها جميع قبائل العرب لتفاخر بمآثرها إضافة إلى البيع والشراء ومنها سوق مجنة بالقرب من مكة ، وسوق دومة الجندل ، وسوق عمان وسوق المشقر وغيرها ، كان البيع في هذه الأسواق يتم بعدة طرق منها بيع الحصاة وقد كثرت معاني هذا البيع ، منها رمي الحصى على أي ثوب فيتم شراؤه بدرهم ، وهناك أيضاً بيع الملامسة والإيماء ، وتتم بلمس الشيء المراد بيعه في ظلمة ،ويتم البيع بناء على اللمس لا النظر[6] .

---

[1] الاصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ، تصحيح : أحمد الشنقيطي ، جـ19 ، د.ط ، مطبعة التقدم ، مصر ، ص4 . النويري ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 109 .

[2] ابن الكلبي ، محمد ابن السائب ، الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي ، ط2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1924ف ، ص 6 ابن هشام ، المصدر السابق ، ص 65 .

[3] الاصفهاني ، المصدر السابق ، جـ13 ، ص62 .

* سدنة مفردها سادن : خادم بيت الأصنام ، لسان العرب ، مادة سدن .

[4] ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، جـ1 ، ط5 ، دار الخير ، دمشق ، 2004 ص70 . ابن الكلبي ، المصدر السابق ، ص 22 .

[5] ابن حزم ، المصدر السابق ، ط3 ، ص 493 .

[6] الألوسي ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص264 وما بعدها .

تعتبر قبيلة بني هلال ، أول من سن الجوائز من ملوك العرب ، عندما تولى عبد الله بن عامر أمارة فارس مر به الأحنف بن قيس وكان متوجهاً لفتح خراسان ، فأوقف الجيش وبدأ ينسب الرجال ويعطي كل فرد على قدر حسبه ، فكان يعطيهم مئة ، فلما كثروا عليه قال أجيزوهم فأجيزوا ، فهو أول من سن الجوائز :

قال الشاعر :-

فدي للأكرمين بني هلال   على علاَّتهم عمي وخالي

هم سنوا الجوائز في معدٍ   فصارت سنة أخرى الليالي[1]

لم تكن القبائل في شبه الجزيرة العربية ، متفقة على تاريخ معين لتأريخ أحداثها بل كانت كل قبيلة تؤرخ بيوم من أيامها المشهورة في حروبها ، واستمرت هذه القبائل تؤرخ بالأحداث المشهورة من وقائع وحروب وموت رؤسائها ، إلى أن جاء الإسلام فصار التأريخ من الهجرة[2] .

2 - علاقة بني هلال وبني سليم بغيرهم من القبائل :-

اهتمت القبائل العربية بتربية الخيول والمحافظة عليها وزاد هذا الاهتمام بعد ظهور الإسلام الذي حث على تربية الخيول والاهتمام بها ، قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين لا تعلمونهم الله يعلمهم)[3]. لأنها كانت من عدة الحرب ، فكان لبني هلال حصانا اسمه (أعوج) وهو سيد الخيل المشهورة ، كان هذا الحصان لملك من ملوك كنده ، فغزا هذا الملك بني سليم فهزموه واستولوا على الحصان (أعوج) ، ثم صار لبني هلال ومنه انتشرت الجياد والخيول العربية[4] .

ولا يتحدث ابن الكلبي[5] عن كيفية انتقال الحصان (أعوج) إلى بني هلال ، ولكن ربما استولى عليه بنو هلال بعد معركة مع بني سليم وانتصروا فصار الحصان أعوج ملكهم.

---

[1] الألوسي ، نفسه ، جـ2 ، ص 191 . أبن قتيبة ، المصدر السابق ، ص 615 .

[2] المسعودي ، أبو الحسن علي ، التنبه والإشراف ، د.ط ، مكتبة الخياط ، بيروت ، ص 208 .

[3] سورة الأنفال ، الآية (60) .

[4] ابن الكلبي ، محمد بن السائب ، أنساب الخيل ، تحقيق : أحمد زكي ، د.ط ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، 1965 ، ص ص 21-22 .

[5] نفسه ، ص 17 .

بالرغم من امتلاك قبيلة بني هلال عدداً من الخيول العربية الأصيلة مثل أعوج والوثيمي والخزز[1] ، فإن المصادر التاريخية لا تتحدث عن كل المعارك التي خاضتها هذه القبيلة مع غيرها ، وتذكر القليل منها مثل يوم الوندة بين بني هلال وبني نهشل ، الذي هزم فيه بنو هلال ولم ينج منهم إلا رجلاً واحداً[2] .

كما وقعت حرب بين بني هلال وقبيلة حنظل العقيلي* انتصر فيها بنو هلال على العقيلي ، الذي هاجم بني هلال مرة أخرى ليثأر لهزيمته في المعركة الأولى، ونهب المواشي وسبى الكثير من النساء ، فأعد بنو هلال جيشاً بقيادة أبي زيد مكون من ألف فارس ، وهاجموا قبيلة العقيلي ، واسترجعوا جميع ما نهب العقيلي في هجومه على بني هلال ، ولكن العقيلي هجم على بني هلال للمرة الثالثة ، فتمكن جيش أبي زيد المكون من خمسة آلاف فارس من هزيمة جيش العقيلي وقتله ، وغنم بنو هلال أموالهم وخيولهم[3] .

أما بني سليم فقد كان من أيامهم :-

يوم حوزة* الأول :-

هو يوم بين سليم وذبيان ، فقد خرج معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي مع فرسانه إلى بني مرة وفزاره ، لمقاتلة هاشم بن حرملة ، لكنه رجع لأنه رأى ظبي وغراب فتطير منهما ، ثم خرج في العام التالي هو وتسعة عشر من فرسانه، وعندما علم هاشم وقومه بذلك هاجموا معاوية ومن معه ، وقتل معاوية بن عمرو وعاد أصحابه إلى القبيلة ومعهم فرس هاشم (الشماء) .

---

(1) نفسه ، ص 17 .

(2) عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ط4 ، ص 1221 .

* رما كانوا من عقيل بن كعب وهم بطن بن عامر بن صعصعه بن قيس عيلان ، عمر رضا كحالة ، جـ2 ، ص 801 .

(3) مؤلف مجهول ، المرجع السابق ، ص 99 وما بعدها .

* حوزة : واد بالحجاز ، الحموي ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 319 .

يوم حوزة الثاني :-

عندما قُتل معاوية بن عمرو ، قرر أخوه صخر الأخذ بثأره ، فهاجم على بني مرة ، وهو على فرس هاشم (الشماء) ، تمكن صخر من قتل دريد بن حرملة، ثم تمكن عمرو بن قيس من قتل هاشم بن حرملة ثأراً لمقتل معاوية بن عمرو[1] .

يوم ذات الأثل :-**

وهو بين بني سليم وأسد ، فقد غزا صخر بن عمرو ، ومعه أنس بن عياض بني أسد وأخذ إبلهم وسبى نساءهم ، وعندما علم بنو أسد بذلك لحقوا بصخر وتقابلوا في مكان يعرف بذات الأثل ، ووقعت معركة قوية طعن فيها صخر وظل عاماً مريضاً ثم توفي ودفن في عسيب[2] *** .

ج : بنو هلال وبنو سليم في الإسلام

1 ـ موقفهما من الإسلام :-

بظهور الإسلام ، بدأ الرسول ﷺ يدعو الناس إلى هذا الدين ، وكانت قبيلتا بنو هلال وبنو سليم من ضمن قبائل الجزيرة العربية التي سمعت بهذا الدين ، وكان الرسول ﷺ قد أتى بني عامر بن صعصعة ، يدعوهم إلى الله عز وجل ، فطلبت بنو عامر من الرسول ﷺ أن يكون الأمر لهم بعد أن ينصر الله رسوله ﷺ، فرد عليهم الرسول ﷺ قائلاً : ((الأمر إلى الله يظهر حيث يشاء)) ، فردوا عليه قائلين:"لا حاجة لنا بأمرك" وعندما رجعوا إلى ديارهم كان عندهم شيخاً يخبرونه بكل ما يحدث لهم كل عام ، فحكوا له ما حدث فأخبرهم بأنه الحق[3] ، كما أتى الرسول ﷺ بني سليم ودعاهم إلى دين الله[4] .

وفي السنة الثالثة للهجرة في شهر رمضان ، تزوج الرسول ﷺ زينب بنت خزيمة من بني هلال ، وهي أم المساكين وكانت تسمى بذلك في الجاهلية[5] ، لأنها

---

(1) ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تصحيح : أحمد أمين وآخرون ، جـ5 ، د.ط ، مطبعة لجنة التألف ، القاهرة ، 1946 ، ص ص 163-164 . النويري ، المصدر السابق ، جـ 15 ، ص ص 365-367 .

* * ذات الأثل : في بلاد تيم الله بن ثعلبة ، الحموي ، البلدان ، جـ1 ، ص91 .

(2) ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، جـ15 ، ص 166 .

*** عسيب : جبل بعالية نجد ، الحموي ، البلدان ، جـ4 ، ص 124 .

(3) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 50 .

(4) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبير ، تصحيح : ادوارد شيخو ، جـ1 ، د.ط ، دار المعرفة ، بيروت ، 1233 هـ ص 135 .

(5) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، د.ط ، جـ8 ، دار صادر ، بيروت ، ص 115 ، ص 135 .

كانت تحبهم[1] ، لكثرة إطعامها المساكين وصدقتها عليهم ، وتزوجها بعد حفصة وهي أخت ميمونة من أمها[2] ، وكان مهرها اثنتى عشرة أوقية[3] ، وقيل بأربعمئة درهم ، خطبها الرسول ﷺ فجعلت أمرها إليه ، وزوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالي ، وكانت عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب فطلقها ، ثم تزوجها عبيدة بن الحارث ، فقتل عنها يوم بدر شهيداً [4].

مكثت عند الرسول ﷺ شهرين أو ثلاثة[5] وقيل ثمانية أشهر أو أقل وماتت في حياته[6] بالمدينة في أخر شهر الربيع الآخر وصلى عليها ودفنها بالبقيع[7] وعمرها ثلاثين سنة[8] أو نحوها ، ولم يمت من أزواجه قبله غيرها وغير خديجة[9].

قال الرسول ﷺ "أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً" ، فكان نساء النبي ﷺ يتذارعن أيتهن أطول يداً ، فلما توفيت زينب ، علمن أنها كانت أطولهن يداً في الخير [10] .

وتزوج منهم أيضاً في السنة السابعة للهجرة في شهر ذي القعدة ، ميمونة بنت الحارث بن حزن ، وبنى بها بسرف* ولم تلد له شيئاً ، وكان اسمها برة فسماها الرسول ﷺ ميمونة[11] لأن زواجه منها كان في عمرة القضاء وهو وقت يمن وبركة على المسلمين[12] ، وكانت زوجة لمسعود بن عمر الثقفي ثم فارقها فتزوجها أبي رهم بن عبد العزى العامري ، ومات عنها[13] ، فتزوجها الرسول ﷺ وزوجه إياها العباس

---

[1] القلقشندي ، المصدر السابق ، ص117 .ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص 135 . الطبري ، أبو جعفر محمد ، الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ،جـ2 ، ط6 ، دار المعارف القاهرة ، ص33 . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ 3 ، ص92 .

[2] ابن سعد ، نفسه ، جـ8 ، ص289 . ابن الأثير ، عزالدين ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تقديم : شهاب الدين النجفي ، جـ5 ، د.ط ، المكتب الإسلامية ، طهران ، ص 466 .

[3] عمر رضا كحالة ، أعلام النساء ، جـ2 ، ط2 ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، 1958 ، ص 65 . .

[4] ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 222 .

[5] ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : على محمد البجاوي ، جـ2 ، د.ط ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 45. ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 5 . ص 466 .

[6] السويدي ، المصدر السابق ، ص 42 . القلقشندي ، المصدر السابق ، ص117 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص 466 .

[7] ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ8 ، ص 82 .

[8] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ 8 ، ص 92 .

[9] الزركلي ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 107. ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 33 . ابن هشام ، السيرة ، جـ4 ، ص 222 .

[10] ابن الأثير : المصدر السابق ، ، جـ5 ، ص 466.

* سرف : موضع على بعد ستة أميال من مكة وقيل سبعة وتسعة واثنى عشرة ، الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، ص 212 .

[11] الطبري ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص166 . ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص 137 .ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ2 ، ص 88.

[12] محمد بكر إسماعيل ، مؤمنات لهن عند الله شان ، ط1 ، دار المنار ، مصر ، 2001 ، ص289 .

[13] ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ8 ، ص 132 .

ابن عبد المطلب ، وكان مهرها أربعمائة درهم[1] وقيل خمسمائة درهم[2] وتزوجها بعد صفية .

وهي التي وهبت نفسها للرسول ﷺ ، فخطبها وهي على بعيرها فقالت :- البعير وما عليه لله ورسوله[3] . فأنزل الله تبارك وتعالى الآية "امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي"* وقيل غيرها[4] ، وقد تزوجها الرسول ﷺ إكراماً لعشيرتها الذين آزروه ونصروه وتزوجها وهو محرم[5] وقيل وهو حلال[6] .

وميمونة بنت الحارث هي إحدى الأخوات التي قال فيهن الرسول ﷺ "الأخوات مؤمنات"[7] مع أم الفضل وأسماء .

وروت عن الرسول ﷺ ، ستة وسبعين حديثاً وقيل أكثر أو أقل، وروى عنها أبناء أخواتها وربيبتها ومولاتها ندبة ، موليها عطاء بن يسار ، وسليمان بن يسار وغيرهم[8] .

عن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها ، أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن الرسول ﷺ ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي ، قال أو فعلتِ ؟ قالت نعم ، قال : أما إنك لو أعطيتها أخوالك ، كان أعظم لأجرك[9] .

عن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ (سئل عن فأرة سقطت في سمن فقال ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم) [10] .

---

(1) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 221 . ابن سعد ، الطبقات الكبير، جـ8 ، ص95 .

(2) ابن سعد ، نفسه ، جـ8 ، ص 98 . عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، جـ5 ، ص 139 .

(3) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 221 . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ 8 ، ص 18 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ5 ، ص 551 .

* سورة الأحزاب ، الآية (50)

(4) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 221 . النويري ، المصدر السابق ، جـ 18 ، ص ص 188-189 .

(5) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 221 .

(6) ابن كثير ، إسماعيل ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، جـ3 ، د.ط ، مطبعة عيسى البابي ، القاهرة ، 1965 ، ص439 . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ8 ، ص 105 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ5 ، ص 550 .

(7) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ8 ، ص 109.

(8) اين سعد ، الطبقات الكبير ، جـ5 ، ص ص 29-130 . عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، جـ 5 ، ص 139 .

(9) الأمام البخاري ، أبو عبد الله محمد ، مختصر صحيح البخاري ، شرح : سعيد محمد اللحام ، جـ 1 ، ط1 ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1997 ، ص 280 .

(10) الأمام البخاري ، نفسه ، جـ 1 ، ص 62 .

وعاشت ميمونة ثمانين سنة وقيل إحدى وثمانين سنة[1] ، وهي آخر امرأة تزوجها الرسول ﷺ ، وآخر من مات من زوجاته ، وتزوجت وماتت ودفنت بسرف[2] ، توفيت في خلافة يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين [3] ، وكانت صالحة فاضلة[4] ،

كما تزوج حمزة بن عبد المطلب سلمى (أخت ميمونة) ، وتزوج العباس ابن عبد المطلب لبابة الكبرى ، وهي أم الفضل ، وقيل أنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة ، هاجرت أم الفضل إلى المدينة بعد إسلام العباس بن عبد المطلب[5]، ثم أسلمت بعد الهجرة وبايعت رسول الله ﷺ [6] ، وكان الرسول ﷺ يزورها ، وروت عنه الكثير من الأحاديث ، وولدت للعباس ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم[7] وماتت في خلافة عثمان ، قبل زوجها العباس بن عبد المطلب[8] ، وتزوج الوليد ابن المغيرة لبابة الصغرى بمكة ، وكان لقبها العصماء فولدت له خالد بن الوليد[9].

وكانت أمهن جميعاً هند بنت عوف بن زهير ، وهي أكرم عجوز في الأرض أصهاراً ، أصهارها هم : الرسول ﷺ ، وأبوبكر الصديق ، وحمزة والعباس ابنا عبد المطلب ، وجعفر وعلي ابنا أبي طالب ، رضي الله عنهم جميعاً[10] .

وقال عبد الله بن بريد وهو شاعر من بني هلال ، شعراً يفاخر فيه بأصهار رسول الله ﷺ [11] .

ومن أخوات ميمونة أيضاً أم حفيد هزيلة بنت الحارث ، وقد أسلمت وبايعت الرسول ﷺ بعد الهجرة [12] ، قدمت إلى الرسول ﷺ ، ومعها هدية له عبارة عن

---

(1) عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، جـ5 ، ص 139 .

(2) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ7 ، ص 100 . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ 5 ، ص 173 .

(3) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ7 ، ص 100 . السيوطي ، جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : ياسر رمضان ومحمد سيف ، ط1 ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، 2005ف ، ص 136.

(4) الزركلي ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 302 .

(5) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ8 ، ص 203 .

(6) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ8 ، ص 289.

(7) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 221 .

(8) حسون ملارجي دلفي ، سطور مع نساء مؤمنات ، ط1 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1971 ف ، ص 83 .

(9) المسعودي ، المصدر السابق ، ص 264 . البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد حميدالله ، جـ1 ، د.ط، دار المعارف ، مصر ، ص 444 . ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 1915-1918 . ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص 137 . الزبيري ، أبو عبد الله الزبير نسب قريش ، تحقيق : ليفني بروفنسال ، جـ1 ، د.ط ، دار المعارف ، القاهرة ، 1951 ، ص 27 .

(10) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ8 ، ص 290 محمد بكر إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 289.

(11) إحسان النص ، القبائل العربية أنسابها وأعلامها ، جـ1 ، ط1 ، مؤسسة الرحالة ، 2000 ، ص361 .

(12) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ 5 ، ص 228 . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ 8 ، ص 205 .

السمن والأقط* والأضب** فأكل الرسول ﷺ منها وأكلت أم حفيد على مائدة الرسول ﷺ [1].

أسلم الكثير من بني هلال منهم بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر وقد روت عن الرسول ﷺ [2] ، وحميد بن ثور وهو إسلامي مجيد[3] ، وأحد المخضرمين من الشعراء[4] ، قدم إلى رسول الله ﷺ وأنشد قصيدته التي أولها :-

أضحى فؤادي من سلمى مقصداً   إن خطا منها وإن تعمدا

إلى أن وصل إلى آخر بيت في القصيدة وهو :-

حتى أرادنا ربنا محمداً يتلوه   من الله كتاباً مرشدا[5]

قال الشعر في أيام عمر بن الخطاب ، ومات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهما [6] .

وكان النزال بن سبرة الهلالي ، من الذين رأوا الرسول ﷺ وسمع منه وهو من كبار التابعين ، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم ، وعبدالله بن مسعود ، وكان ثقة له أحاديث[7] ، وروى عنه الشعبي والضحاك وعبد الملك بن ميسرة وإسماعيل بن رجا[8] .

وكهمس الهلالي ، روى عن الرسول ﷺ ، وقد غاب عاماً كاملاً بعد إسلامه، ثم رجع إلى الرسول ﷺ ، وسلم فلم يعرفه ، وسأله من تكون ؟ فأخبره أنه كهمس الهلالي ، فسأله عن سبب تغير حاله ، وضعف جسمه ، فأخبره بأنه لم ينم ليلاً ، ولا أفطر نهاراً ، فأخبره الرسول ﷺ بأنه لا يجب أن يعذب نفسه ، لكن ليصم شهر رمضان وثلاثة أيام من كل شهر[9] .

---

* الأقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ حتى يمصل ، اللسان ، مادة أقط .

** الأضب : سمن ورب ، اللسان ، مادة أضب .

[1] ابن عبد البر، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 1931 , ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 558 .

[2] ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ5 ، ص 1795 .

[3] ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله طبقات الشعراء ، تحقيق : مفيد قميحة ومحمد أمين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 ، ص 232 . .

[4] الحموي ، ياقوت ، معجم الأدباء ، مراجعة وزارة المعارف العمومية ، جـ11 ، ط2 ، مكتبة عيسى البابي ، مصر ، ص8 .

[5] ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 377 . ابن قتيبه ، المعارف ، ص 39 .

[6] الحموي ، المصدر السابق ، جـ11 ، ص ص 10-13 .

[7] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ6 ، ص 57.

[8] ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 1524 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 5 ، ص 15 .

[9] ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 1334 . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ7 ، ص 31 .

وعبد الرحمن بن سائب الهلالي، ابن أخي ميمونة ، روى عنها وكان قليل الحديث[1] . قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد ، يكنى أبا بشر ، وفد على الرسول ﷺ [2] قال يا رسول الله ﷺ "أني حملت عن قومي حمالة، فأعنى فيه" قال هي لك في الصدقات إذا جاءت [3]، ونزل البصرة وولد بها ، وله صحبة ورواية[4] ، روى عنه أبو عثمان النهدي ، وكناية بن نعيم[5] ، وكان له ابن يدعى قطن بن قبيصة الذي ولي سجستان، وربيعة بن رياح بن أبي ربيعة ، وذو البردين[6] ، ومسعر بن كدام وهو ابن ظهير بن عبيد الله بن الحارث بن عبد الله ، يكنى أبا سلمة[7] وكان فقيهاً[8] كان مسعر يأتي كل يوم إلى المسجد للصلاة ، وكان لا يسمع الحديث إلا في المسجد الجامع وكانت له أم عابدة[9] ، ولم يكن له مأوى إلا منزله والمسجد ، توفي بالكوفة في خلافة أبي جعفر سنة 158هـ/776م وقيل سنة 155هـ/773م [10] .

وعبد الملك بن ميسرة الزراد مولى بني هلال ، كان كثير الحديث ، توفي بالكوفة[11] ، ومعقل بن أبي بكر الهلالي ، روى عن عمر بن الخطاب[12]. وأبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، ولد بالكوفة في سنة 107هـ/725م ، وكان إماماً عالماً زاهداً ورعاً ، مجمعاً على صحة حديثه وروايته ، وحج سبعين حجة ، وقد أدرك أكثر من ثمانين شخصاً من التابعين ، وكان ثقة كثير الحديث وتوفى وهو ابن إحدى وتسعين سنة[13] بمكة سنة 199هـ/817م ، في خلافة المأمون[14] ، وروي عن أبي حيان التميمي وغيره ، وله أخ اسمه عمران بن عيينة يكنى أبا إسحاق .

---

[1] نفسه ، جـ7 ، ص 79 ..

[2] نفسه ، جـ7 ، ص 23.

[3] نفسه ، جـ1، ص 51.

[4] إحسان النص ، المرجع السابق ، ص 361.

[5] ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 1237 . إحسان النص ، المرجع السابق ، ص 361 .

[6] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ 6 ، ص 364 . .

[7] نفسه ، جـ6 ، ص 319-149 .

[8] إحسان النص ، المصدر السابق ، ص 361 .

[9] ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ6 ، ص 253. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ6 ، ص .

[10] ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ6 ، ص 222.

[11] نفسه ، جـ6 ، ص 222.

[12] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ6 ، ص 149 .

[13] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ6 ، ص 277 . ابن خلكان ، أبو العباس أحمد ، وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ، جـ2 ، بدون طبعة ، دار الثقافة ، بيروت ، 1969 ، ص 391 . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ 5 ، ص 365. .

[14] السيوطي ، المصدر السابق ، ص 212 .

وهناك أيضاً الضحاك بن مزاحم ، ويكنى أبا القاسم ، وكان قد أتى خراسان وأقام بها ومات سنة 150هـ/768م[1] .

ومنهم أيضاً عبد الله بن بريد الشاعر ، وابنه عاصم بن عبد الله ولي خرسان ، وكان شاعراً أيضاً[2] . وأبو جامع بن مخارق بن عبد الله بن شداد ، سعيد بن خيثم المحدث ، كان من أصحاب زيد بن عليّ[3] . وهناك أيضاً برزة الهلالية بنت الحارث ، والدة يزيد ابن الأصم أخت عزة بنت الحارث[4]. وبكارة الهلالية كانت من أنصار عليّ بن أبي طالب في حرب صفين ، وألقت الكثير من الخطب الحماسية لتحث أنصار عليّ على الحرب[5] . والسرى بن السائب بن شراحبيل ، وهو من الأنصار ، وعمته أم جميل بنت الأفقم[6] .

وسليط بن الحارث الهلالي، أخو ميمونة زوج الرسول ﷺ من الرضاعة، وحضر سليط جنازة أحد الأشخاص وسمع الرسول ﷺ قال "من صلى عليه أمة من الناس شفعوا إليه" . وعبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن الهلالي ، روى حديثُ عن أبيه قال (سئل الرسول ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: قوم قتلوا في سبيل الله وهم عاصون لآبائهم ، فمنعهم من الجنة عصيانهم لآبائهم ، ومن النار قتلهم في سبيل الله [7]) .

وفي سنة التاسعة للهجرة ، قدمت الوفود إلى رسول ﷺ، وكان من بينها وفد بني هلال جاء معلناً إسلامه ، وكان يتألف من أربعمائة فارس طافوا بمكة ، وقابلوا الرسول ﷺ ، الذي أمرهم بالنزول في وادي العباس[8] ، كان من بين أعضاء هذا الوفد ، عبد عوف بن أصرم بن عمرو ، وقد سماه الرسول ﷺ عبدالله، وقال رجل من ولده :-

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ6 ، ص 221.
[2] ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 274 .
* الحجون ، جبل بأعلى مكة .
[3] إحسان النص ، المرجع السابق ، ص ص 361-362 .
[4] رضوان دعبول ، تراجم وإعلام النساء ، ط1 ، دار البشير ، 1998 ، ص 54 .
[5] حسون ملارجي دلفي ، المرجع السابق ، ط 1 ، ص 134. .
[6] ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 274 .
[7] ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : شهاب الدين أبي الفضل ، جـ 2 ، د.ط ، دار الكتب العلمية ،مصر ، 1323هـ ، ص 69 .
[8] مؤلف مجهول ، سيرة بني هلال ، ص 5.

جدي الذي اختارت هوزان كلها إلى النبي عبد عوف وافداً[1]

وزياد بن عبد الله ، الذي قصد بيت خالته ميمونة بنت الحارث ، زوج الرسول ﷺ ، فوجد الرسول ﷺ يصلي ، وبعد أن أكمل صلاته ، دعا الرسول ﷺ لزياد ومسح بيده الشريفة على رأسه ، فصارت هذه الحادثة مبعث فخر واعتزاز لبني هلال ، وفي ذلك أنشد الشاعر لعلي بن زياد :-

يابن الذي مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير عند المسجد

أعنى زيداً لا أريد سواه من عامر أو مقهم أو منجد[2]

مازال ذاك النور في عرنينه حتى تبوأ بيته في اللحد[3]

وشارك بنو هلال في كثير من الغزوات مع الرسول ﷺ ، منها غزوة تبوك وقد دعا الرسول ﷺ لبني هلال في هذه المعركة ، نظراً لحس بلاءهم ودفاعهم عنه[4] ، وغزوة حنين ، وكان جمع بني هلال يضم عدداً من المقاتلين ، فيهم زيد ابن شداد بن معاوية[5] .

وفي معركة القادسية ، التي قادها سعد بن أبي وقاص ، وكان عدد جيش المسلمين أربعة آلاف ، وكان معهم بنو هلال يقودهم مسلية بشير بن عبد الله الهلالي[6] .

أما بنو سليم فقد خرج الرسول ﷺ لغزوهم سنة 3هـ ، وحمل اللواء على ابن أبي طالب ، وفي مكان يعرف باسم "قرقرة الكدر"* . أنجفل بنو سليم ، وغنم أموالهم ورجع [7]. ثم خرج إليهم في ثلاثمائة رجل من أصحابه في جمادى الآخر إلى نجران ومعدن بنى سليم ، وعندما علموا بالأمر تفرقوا فرجع ولم يلق كيداً [8].

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ1 ، ص 50.

(2) البلاذري ،أبو الحسن أحمد بن يحيى فتوح البلدان، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، جـ1 ، د.ط ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ص 106. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ6 ، ص 309 . ابن كثير ، المصدر السابق ، ص 177-178 .

(3) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ1 ، ص 51. النويري ، المصدر السابق ، جـ 18 ، ص 51 .

(4) عبد الرحمن الأنبودي ، السيرة الهلالية ، جـ1 ، ط2 ، أطلس للنشر والتوزيع ، مصر ، 2004 ، ص 10 . مؤلف مجهول ، سيرة بني هلال ، ص 5 . .

(5) إحسان النص ، المرجع السابق ، ص 362 .

(6) ابن خلدون ، العبر ، جـ2 ، ص 917 .

* قرقرة الكدر : موضع ناحية المعدن قريبة من الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية برد ، الحموي ، البلدان ، جـ4 ، ص 441

(7) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ2 ، ص 21 .

(8) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 37. المسعودي ، المصدر السابق ، ص 244 وما بعدها . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ2 ، ص 34 .

وفي السنة 5هـ، شارك حوالي سبعمائة رجل من بني سليم بقيادة أبو الأعور السلمي في حصار المدينة وكان لليهود دوراً في مشاركة هؤلاء في هذا الحصار بعد أن قدموا لهم الرَّشا، مع قريش[1] وانتهى الحصار بهزيمة الأحزاب .

أرسل الرسول ﷺ في السنة السادسة للهجرة سرية بقيادة زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم** [2]. وفي السنة السابعة للهجرة بعث الرسول ﷺ سرية يقودها ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلاً إلى بني سليم ، واقتتل الطرفان وجرح ابن أبي العوجاء[3] .

ولكن وفد منهم على الرسول ﷺ رجُل يقال له قيس بن نسيبة وأسلم ، وكان هذا الرجل يتقن لغة الروم والفرس ، وعلى علم ودراية بأشعار العرب ، فلما رجع إلى أهله حدثهم عن الإسلام ، وأقنعهم فأسلم عدد كبير منهم[4].

كان وفد بني سليم من ضمن الوفود التي قدمت إلى الرسول ﷺ ، معلنة إسلامها ، والتقوا الرسول ﷺ في موضع يقال له قديد* ، كان هذا الوفد يضم كلاً من العباس بن مرداس وهو بن أبي عامر بن حارثة والخنساء بنت عمرو شاعرة بني سليم ، وكان سيداً في قومه ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام[5] ، وأسلم قبل فتح مكة بقليل ، يكنى أبا الفضل ، وقيل أبا الهيثم ، وكان العباس من الذين حرموا الخمر في الجاهلية[6] ، أسلم عباس بن مرداس بعد أن أحرق صنم والده المسمى (ضمار) فقد أوصاه أباه أن يعتني به بعد وفاته ، وبينما كان العباس ذات يوم عند الصنم سمع صوتاً يخرج من جوف الصنم يقول :-

قل للقبائل ورث النبوة والهدى   أودى ضماه وعاش أهل المسجد

أن الذي ورث النبوة والهدى   بعد ابن مريم من قريش مهتدى

---

(1) الطبري ، المصدر السابق ، جـ 3 ، ص 18 . مونتجمري وات ، محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ترجمة: شعبان بركات ، د.ط ، المطبعة العصرية ، بيروت ، ص 145

(2) البلاذري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 310 . خليفة بن خياط ، تاريخ بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار ، د.ط ، دار الفكر ، بيروت ، 1993 ، ، ص 45 . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ 2 ، ص 62 .

** الجموم : أرض لبني سليم ، الحموي ، البلدان ، جـ 2 ، ص 163 .

(3) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج24 ، ص 89.

(4) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ1 ، ص 49.

(5) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ1 ، ص 307.

* قديد : اسم موضع قرب مكة ، الحموي ، البلدان ، جـ 4 ، ص 313 .

(6) ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص ص 817-818 . ابن حجر ، الإصابة في معرفة الصحابة ، جـ4 ، ص 31 .

أودى ضمار وكان تعبد مرة قبل الكتاب إلى بني محمد

فحرق العباس بن مرداس الصنم ، ولحق بالرسول ﷺ، وأسلم[1]، وحضر مع الرسول ﷺ ، يوم الفتح في جمع من بني سليم قيل ألف رجل ، كان يرجع إلى بلاد قومه ، لم يسكن بمكة ولا المدينة ، ونزل البادية ناحية البصرة [2] ، وقيل أنه نزل بدمشق وابتنى له داراً[3] ، وروى الكثير من الأحاديث عن الرسول ﷺ[4] ، وروى عنه البصريون، وله بقية ولد ببادية البصرة ، ونزل قوم منهم البصرة[5] .

عن أبي مرداس الأسلمي رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ (يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة)[6].

شهد العباس مع الرسول ﷺ ، غزوة حنين[7] التي انتصر فيها المسلمون ، وعندما قسم الرسول ﷺ غنائم هذه الغزوة ، أعطى بعض الرجال مائة بعير وأعطى البعض الأخر دون المائة ، وكان منهم العباس بن مرداس الذي أنشد قائلاً يعاتب الرسول ﷺ :-

كانت نهباً تلافيتها　　　بكري على المهُر في الأجرع

وأيقاضى القوم أن يرقدوا　　　إذا هجع الناس لم أهجع

وأصبح نهبي ونهب العبيد*　　　بين عينية والأقرع

نقل أبوبكر رضي الله عنه ، أبياته إلى الرسول ﷺ ، وعندما سمع الرسول ﷺ هذه الأبيات ، طلب أن يعطوه حتى يرضى[8] ، كان للعباس أخ اسمه عمر بن

---

(1) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 54 .ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ 3 ، ص 590 .

(2) نفسه ، جـ4 ، ص 31 .

(3) ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 31 .

(4) نفسه ، جـ2 ، ص 19 . .

(5) ابن قتيبة ، المعارف ، ص 336 .

(6) الأمام البخاري ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 540 .

(7) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ4 ، ص 16 . ابن هشام المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 65 . ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 817.

* العبيد : من خيل بني سليم ، هو فرس العباس بن مرداس ، كان العباس يسمي فارس العبيد ، ابن الكلبي ، أنساب الخيل ، ص 71

(8) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 108 . ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 818 . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ2 ، ص 110 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 818 .

* المؤلفة قلوبهم : هم قوم كانوا في صدر الإسلام فمن يظهر الإسلام يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم ، وقيل هم صنف يعطون ليتألفوا على الإسلام ، وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف لكن يسلمون بالعطاء والإحسان ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ5 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988 ، ص 174 . .

مرداس، وهما من جملة المؤلفة قلوبهم*[1] ، قال تعالى {أنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم}*.

وله أخ آخر اسمه ، سراقة بن مرداس ، وقد رثى سراقة أخوه بعد وفاته بأبيات من الشعر منها :-

أعين ألا أبكي أباً هيثم وأدري الدموع ولا تسامي[2]

وله من الأبناء سعيد وعبيد الله جلهمة وقيل جاهمة [3]، اسلم وصحب الرسول ﷺ وروي عنه أحاديث ، مدح العباس بن مرداس الرسول ﷺ ، فقال الرسول ﷺ : اقطعوا عني لسانه، قالوا بماذا يا رسول الله ؟ فأمر له بحلة فكساه[4]، عاش العباس بن مرداس إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [5] .

وأنس بن عياض بن رعل ، وراشد بن عبد ربه ، الذي كان اسمه قبل أن يسلم ، غاوي بن عبد العزى ، وكان سادناً لصنم ، وقد رأى ثعلبين يبولان على الصنم فأنشد :-

أرب يبول الثعلبان برأسه قد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم كسر الصنم ، ولحق بالرسول ﷺ ، وأسلم ، وسماه راشد بن عبد ربه وأعطاه موضع يقال له رهاط** ، وفيه عين يقال لها عين الرسول ، وعقد له على قومه وشهد الفتح [6] والطائف وحنين ، وقال الرسول ﷺ (خير قرى عربية خيبر ، وخير بني سليم راشد) [7] ، وقد أنشد راشد بن عبد ربه ، حين فتحت مكة ، وأمر الرسول ﷺ برمي الأصنام حول الكعبة ، وحرقها قائلاً :

قالت : هلم إلى الحديث ! فقلت لا يأبى الإله عليك والإسلام

---

(1) ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 817 .
- ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص 33 .
(2) ابن حجر، المصدر السابق ، جـ2 ، ص19.
* سورة التوبة ، الآية (60)
(3) ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 262 .
(4)ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، جـ5 ، ص 291.
(5) نفسه ، جـ5 ، ص 291 .
** رهاط : موضع على ثلاثة ليالي من مكة ، الحموي ، معجم البلدان ، ص 107 .
(6) الزبيري ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 104 . ابن الكثير ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 177 . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ1 ، ص 349 .
(7) نفسه ، جـ1 ، ص 50.

أو ما رأيت محمداً وقبيلـهُ بالفتح حين تكسر الأصنـام

لرأيت نور الله أضحى ساطعاً والشرك يغشى وجهه الإظلام[1]

وقد استعمل رسول الله ﷺ ، أبا سفيان بن حرب على نجران ، فولاه الصلاة والحرب ، ووجه راشد بن عبد ربه السلمي أميراً على القضاء والمظالم ، فقال راشد بن عبد ربه قصيدة منها :-

ولما دنت من جانب الغوط أخصبت وحلّت ولاقاها سليم وعامر

وخبرها الركبان أن ليس بينهـا وبين قرى بصرى ونجران كافر

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر[2]

وذكر أن سيداً من سادات بني سليم، يدعى قدر بن عمار ، ذهب إلى الرسول ﷺ ، وأسلم وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه على الخيل ، فذهب إلى قومه وخرج ومعه تسعمائة ، ولكنه مات قبل أن يوفي عهده ، فأوصى جماعة من بني سليم بالذهاب إلى الرسول ﷺ ، وهم العباس بن مرداس ، جبار بن الحكم ، والأخنس بن يزيد ، وأمر كل واحد منهم على ثلاثمائة ، ليذهبوا لمقابلة الرسول ﷺ ثم جاء بعدهم المنقع بن مالك بن أمية وهو على مئة رجل ، فصار عددهم ألفاً[3] .

وشهد جبار بن الحكم فتح مكة ، مع الرسول ﷺ ، وكان يقال له الفرار ، ومعه راية بني سليم ، فعندما عقد الرسول ﷺ الراية لبني سليم ، قال لمن أعطى الراية ؟ قالوا : أعطها جبار بن الحكم الفرار ، فكَرِه الرسول ﷺ قولهم الفرار ، فأعاد القول عليهم ، ثم دفعها إليه ، ثم تسلم الراية منه يزيد بن الأخنس من بني سليم، كما شهد معه أيضاً غزوة حنين[4].

وقيل أن خفاف بن ندبة ، واسمه عمرو بن رباح هو الذي كان معه لواء بني سليم الأخر يوم فتح مكة، وقد شهد حنين وثبت على إسلامه في الردة وكان شاعراً مشهوراً[5]، وكان معه وقد شهد حنين وثبت على إسلامه في الردة وكان بنو سليم

---

(1) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص31 .

(2) ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، جـ5 ، ص 286 .

(3) ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 817 . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ1 ، ص 50 .

(4) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ1 ، ص 366.

(5) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ 4 ، ص 18 .ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص 325. ابن حجر ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 138 .

يفاخرون بأنهم كانوا مع الرسول ﷺ ، وأنه قدم لواءهم على باقي الألوية وكان لونه أحمر [1].

وهوذة بن الحارث بن عجرة بن عبد الله بن يقظة ، أسلم وشهد فتح مكة وتخاصم هو وابن عم له على الراية ، وقال لعمر بن الخطاب :-

لقد دار هذا الأمر ، في غير أهله   فأبصر ولي الأمر أين تريد

والورد بن خالد بن حذيفة ، هو ابن عمرو بن خلف ، أسلم وصحب الرسول ﷺ وكان على ميمنته يوم الفتح[2] .

كما أسلم الكثير من بني سليم ، منهم أبو جميلة أدرك الرسول ﷺ، وخرج معه عام الفتح واسمه سنين ، سمع من عمر بن الخطاب ، وكان منزله بالعمق*[3]، وله أحاديث[4]، ويعد من أهل الحجاز[5]، ومرة بن كعب البهزي، نزل البصرة ثم نزل بالشام، وتوفي سنة 57هـ ، بالأردن وروى عن الرسول ﷺ[6].

والحجاج بن علاط ، يكنى أبا كلاب ، وقيل أبا محمد أو أبا عبد الله ، سكن المدينة ، وهو من خيار الصحابة ، وكان له معدن بني سليم وهو معدن ذهب ، ونزل حمص[7] ، وبنى بها داراً ومسجداً يعرف به[8] ، وله أخ اسمه معرض بن علاط ، قتل في موقعة الجمل مع علي[9] ، وأسلم بعد أن خرج ذات يوماً مع قومه إلى مكة ، وعندما جاء الليل ، كانوا قد وصلوا إلى وادٍ موحش ، فطلب منه أصحابه أن يبحث لهم عن ركن آمن ، فقام الحجاج وأخذ يقول :-

أعيذ نفسي وأعيد صحبي   من كل جنى بهذا النقب

حتى أؤوب سالماً وركبي

---

(1) رضا عمر كحالة ، المرجع السابق ، ص 545.

(2) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ4 ، ص ص 18 – 19 .

* العمق : موضع على الطريق إلى مكة بين معدن بني سليم وذات عرق . الحموي ، البلدان ، جـ4 ، ص 156 .

(3) نفسه ، جـ5 ، ص 35. .

(4) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ص 63.

(5) ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 1621.

(6) نفسه ، جـ4 ، ص 1382.

(7) ابن حزم ، المصدر السابق ، جـ5 ، ص 63 .

(8) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ، جـ3 ، ص 263 .

(9) نفسه ، جـ1 ، ص 381. . ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 325 .

فسمع قائلاً يقول : (يا معشر الجن والأنس أن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلا بسلطان)* .

وعندما وصل مكة ، أخبر قريش بذلك ، فقالوا له لقد صبأت أي أسلمت ، فاسلم الحجاج[1] .

كان الحجاج تاجراً ، وكانت له أموالاً في مكة ، فاستأذن الرسول ﷺ ، للخروج وجمع أمواله بعد فتح خيبر ، فأذن له الرسول ﷺ ، وخرج قاصداً مكة ، فوجد في طريقه بعض رجالات قريش ، يسألون عن أخبار الرسول ﷺ ، وما حدث في خيبر ، ولم يعلموا بإسلامه ، فأخبرهم بأن الرسول ﷺ قد هزم وجيشه ، ووقع في الأسر ، وأنهم سيبعثوا به إلى مكة ليقتله أهله ، وطلب منهم المساعدة في جمع ماله ، وجمع الحجاج أمواله بسرعة بمساعدة قريش ، ثم التقى العباس بن عبد المطلب الذي سأله عن أخبار الرسول ﷺ ، فأعلمه بأنه أفتتح خيبر وتزوج صفية بنت حي ، وطلب منه أن يكتم هذا الأمر ثلاثة أيام ، وبعدها فليخبر قريش بذلك ، وقد استعمل حجاج بن علاط المكر والخديعة من أجل استرجاع أمواله التي كانت في مكة[2].

ومجاشع بن مسعود الذي أفتتح كرمان[3] وأخوه مجالد بايعا الرسول ﷺ على الجهاد في سبيل الله ولهما صحبة ، عن مجاشع رضي الله عنه قال أتيت الرسول ﷺ أنا وأخي فقلت بايعنا على الهجرة فقال (مضت الهجرة لأهلها، فقلت علامَ تبايعنا ؟ ، قال على الإسلام والجهاد) وزاد مسلم الخير[4] ، وقد شهد موقعة الجمل مع عائشة رضي الله عنها ، فقتل هو وأخوه مجالد ، وله

* سورة الرحمن ، الآية 33 .

(1) ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 325-326.

(2) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 267 وما بعدها . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ4 ، ص 14 .ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 326 . ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 78 وما بعدها .مسلم النيسابوري ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 569 . ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ2 ، ص 78 .

(3) ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 262.

(4) البخاري ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 319 . مسلم ، المصدر السابق ، ص 1955 .

عقب بالبصرة [1] ، والضحاك بن سفيان بن الحارث هو ابن زائدة بن عبد الله صحب الرسول ﷺ وعقد له لواءً يوم الفتح[2] .

وعبد الله بن خازم صاحب خراسان ، وموسى ومحمد ونوح وخازم كانت لهم بخراسان آثار ولهم بالبصرة بقية[3] ، وابن مالك بن أمية بن عبد العزى ، توفي في حياة الرسول ﷺ ، وعندما علم الرسول ﷺ بوفاته ترحم عليه[4] .

وهناك أيضاً عمرو بن عبسة بن خالد السلمي ، كان صديق الرسول ﷺ في الجاهلية وكان يقول كنت يومئذ ربع الإسلام [5] ، يكنى أبا نجيح وكان قد اسلم في بداية الدعوة فقد التقى بالرسول ﷺ بعكاظ وسأله يا رسول الله من معك في هذا الأمر ، قال حر وعبداً يقصد أبوبكر وبلال فأسلم بعد ذلك وقيل أنه كان ثالث أو رابع من أسلم[6]، فقد سمع أن عبادة الأوثان باطل، وقيل له اذهب إلى مكة، فإن بها رجل يقول مثل ما تقول، فذهب إلى مكة، وانتظر الرسول ﷺ ليطوف بالكعبة، فسأله من أنت؟ فأخبره الرسول ﷺ بدعوته، فأسلم ورجع إلى أهله، وعندما سمع بهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة لحق به، وقد اسلم بمكة ورجع إلى بلاد قومه بني سليم وكان ينزل بصفة وحاذة وهي من أرض بني سليم، وظل بها مدة، ولم يزل مقيماً بها حتى مضت بدر واحد والخندق وخيبر، ثم قدم على الرسول ﷺ بعد ذلك المدينة[7]، وقد روى عن عمرو بن عبسة، كل من أبي إمامة الباهلي وشرحبيل بن السمط وغيرهم ، وتوفي عمر بن عبسة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه [8]، ومنهم أيضاً حكيم بن أمية بن حارثة، كان بمكة في الجاهلية، محتسباً يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، وأبو الأعور السلمي، وهو عمرو بن سفيان ابن عبد شمس كان من قواد معاوية ، وعبيد بن عبد الرحمن ولي أفريقية ويزيد الأخنس بن

---

[1] ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص 331. ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ 7 ، ص 19 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 3 ، ص 263 .

[2] ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ4 ، ص 18. ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 261 .

[3] نفسه ، ص 262 .

[4] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 420.

[5] ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ص 264 . 261. ابن خلدون ، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ2 ، د.ط ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1958 ، ص 636 .

[6] ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ4 ، ص 158.

[7] نفسه ، جـ4 ، ص 60.

[8] السيوطي ، المصدر السابق ، ص 121 .

حبيب، يزيد بن معن بن يزيد ولهما صحبة، وكان يزيد بن معن له مكان عند عمر رضي الله عنه وشهد صفين مع معاوية[1] .

وهناك أيضاً عقبة بن ربيعة بن خالد حليف الأنصار[2] النعمان بن عمر صاحب راية المسلمين يوم أحد[3]، ويزيد بن حميد أو التياح من بني بهثة ، كان من فقهاء البصرة ومات بها[4] .

كانت الخنساء بنت عمر بن الشريد من ضمن وفد بني سليم ، الذي قدم إلى رسول ﷺ ، وأسلمت وقد أنشدت الرسول ﷺ بعض أشعارها ، وشهدت الخنساء معركة القادسية مع أبنائها الأربعة الذين استشهدوا في هذه المعركة[5] .

وقد بعث الرسول ﷺ الحجاج بن علاط والعرباض بن سارية السلمي[6] ، وأمرهم بالقدوم إلى المدينة .

شهد بنو سليم مع الرسول ﷺ ، فتح مكة وكان عددهم يومئذ سبعمائة رجل وقيل ألف[7] ، يقودهم الرود بن خالد بن خذيفة[8]، دخلوا مع خالد بن الوليد من مكان اسمه الليط أسفل مكة[9]، وكان خالداً يقود ميمنة الجيش[10].

وأنشد بجير بن زهير بن أبي سلمى يوم فتح مكة قائلاً :-

ضربناهم بمكة يوم فتح النسبي الخير بالبيض الخفاف

صحبناهم بسبع من سليم وألف من بني عثمان وافٍ

كذلك أنشد عباس بن مرداس قائلاً :-

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطائح مسوم

نصروا الرسول وشاهدوا آياته وشعارهم يوم اللقاء مقدم[11]

---

(1) ابن حزم ، المصدر السابق ، ص 264. جواد علي ، المرجع السابق ، جـ 4 ، ص 518 .
(2) ابن عبد البر ، المصدر السابق ، جـ 3 ، ص 1192-1193 ص 1025.
(3) السويدي ، المصدر السابق ، ص 36.
(4) ابن قتيبة ، المعارف ص 468 .
(5) ابن عبد البر ،المصدر السابق ، جـ4 ، ص 1827 وما بعدها . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ5 ، ص 441 .
(6) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ 3 ، ص 636.
(7) أبن كثير ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 586. ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 34 .
(8) ابن خلدون ، العبر ، جـ 2 ، 636 .
(9) ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 39. ابن الأثير ، الكامل ، جـ2 ، ص 122 .
(10) مسلم ، صحيح مسلم ، جـ 3 ، ط3 ، ص 1407 .
(11) ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ 3 ، ص 589 – 590 .

كانت قبيلة بني سليم من ضمن القبائل التي خرجت في جيش خالد بن الوليد الذي بعثه الرسول ﷺ إلى بني جذيمة من كنانة[1] .

وكان بنو سليم يفاخرون بأنهم كانوا مع الرسول ﷺ يوم الفتح ، وأنه قدم لوائهم على باقي الألوية وكان لونه أحمر ، وأن عمر بن الخطاب عند توليه الخلافة كتب إلى عماله في الكوفة والبصرة والشام ومصر أن يبعثوا إليه بأفضل رجل ، فبعث أهل البصرة بمجاشع بن مسعود السلمي ، وأهل الكوفة بعتبة ابن فرقد السلمي وأهل الشام بأبي الأعور السلمي ، وأهل مصر بمعن بن يزيد ابن الأخنس السلمي[2] .

في السنة الحادية عشرة للهجرة ، توفي الرسول ﷺ، وبوفاته ارتدت قبائل كثيرة ، كان منها بعض عشائر بني سليم [3]، الذين امتنعوا عن دفع الزكاة ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الزكاة هي إتاوة تدفع إلى الرسول ﷺ وبموته انقطع دفع هذه الإتاوة .

قال سبحانه وتعالى : (خذ من أموالهم صدقه تطهرهم وتزكيهم بها)* كانت هذه الآية خطاب إلى الرسول ﷺ ، يأخذ الصدقة من المسلمين ، ولا يحق لأحد غيره أخذها ، وبالتالي اعتقدوا أنه ستسقط هذه الزكاة بموت الرسول ﷺ وبهذا تحجج مانعوا الزكاة من بني سليم وغيرهم[4] .

جاء بعض من رجال بني سليم ، وطلبوا من أبي بكر الصديق أن يمدهم بالسلاح لمقاتلة المرتدين ، فأمر لهم بسلاح لكنهم قاتلوه به ، بالرغم من اعتراض عباس بن مرداس على ما قاموا به[5] ، فقرر أبوبكر الصديق محاربة هؤلاء ، فأرسل إليهم خالد بن الوليد وطريفة بن حاجز لقتاله ، لأنه رأى أن الامتناع عن دفع الزكاة هو هدم ركن من أركان الدين ، [6].

---

(1) ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ 3 ، ص 591 . ابن هشام ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 56 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 128 . أبن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ2 ، ص 106 .
(2) رضا عمر كحالة ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 545 .
(3) الطبري ، المصدر السابق ، جـ 3 ، ص 18 .مونتجمري وات ، المرجع السابق ، ص 144
* سورة التوبة ، الآية (104).
(4) القرطبي ، المصدر السابق ، جـ 8 ، ص 155 . .
(5) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص 68 . ابن الأثير ، عز الدين ، الكامل في التاريخ ، مراجعة نخبة من العلماء ، جـ2 ، د.ط ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1980 ، ص 211 .
(6) الطبري ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص 227.

مما سبق يتبين أن قبيلتي بني هلال وبني سليم لعبتا دوراً مهماً في الأحداث التي دارت في فترة بداية الإسلام ، وشاركتا في مجرى الأحداث الدائرة في المدينة المنورة ، فقد كانوا جنوداً مع الرسول ﷺ ، وكان منهما الصحابة ورواة الحديث ، كما شاركوا في الكثير من المعارك المهمة في عهد الخلفاء الراشدين ، معركة القادسية وكان انتصار المسلمين في هذه المعركة قد فتح بوابة آسيا الصغرى وهي المدائن ومنها أنتشر الإسلام في تلك البقاع .

2 ـ علاقتهما بالدولتين الأموية و العباسية :

بعد وفاة الرسول ﷺ ، تولى أمر المسلمين الخلفاء الراشدون كان أولهم أبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، فعثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً ، الذي قامت بينه وبين معاوية بن سفيان معارك عدة ، كان معاوية يسعى من خلالها لتولي الخلافة ، وانتقلت الخلافة لبني أمية، وفي عهد هشام بن عبد الملك في سنة 105هـ/723م كان واليه على مصر عبيد الله بن الحبحاب ، الذي استأذنه في أن يأتي ببعض من بني هلال وبني سليم وبني مضر إلى مصر ، لأن الأرض كانت تحتمل زيادة عدد السكان ، فأذن له الخليفة ، فاستقدم ابن الجحاب مائة بيت من بني سليم ، ومائة بيت من هوازن ابن منصور[1] .

وفي سنة 107هـ/725م ، ثار الأقباط في كور تنو ونمى* وقربيط وطرابية بمصر ، كان سبب هذه الثورة قرار الوالي عبيد الله بن الحبحاب زيادة مقدار الخراج المفروض على الأراضي الزراعية ، فبعث إليهم العسكر بقيادة الحر بن يوسف لإخماد هذه الثورة ، بعد هذه الثورة ، قرر الخليفة الوليد الثاني إرسال القبائل العربية إلى مصر لتحل محل الأقباط ، فوصل إلى مصر سنة 109هـ/727م ، أعداد كبيرة من بني قيس ، تقدر بحوالي ثلاثة ألاف نزلوا بالحوف الشرقي* ، واشتغلوا بالزراعة بدلاً من الأقباط ، كان منهم مائة بيت من بني عامر، وقدمت أول جماعة من بني هلال إلى مصر في ولاية الوليد بن رفاعة سنة 109هـ/727م ونزلت بمنطقة الحوف الشرقي ، وكانت هذه المنطقة جسر عبور للقوافل بين مصر والشام والحجاز ، وأصبح عدد الأسر المقيدة في ديوان العطاء في العصر الأموي نحو أربعين ألف أسرة ، خدموا في الجيش ، واشتغلوا بالتجارة بين مصر والشام ومصر والمغرب [2].

---

[1] ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله ، فتوح مصر وأخبارها ، مكتبة المثنى ، د.ط ، بغداد ، 1930 ، ص 143 . المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، المواعظ والاعتبار ، جـ1 ، د.ط ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ص 127 ، وما بعدها . عبد الله خورشيد ، القبائل العربية في مصر ، د.ط ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1992 ، ص 134 .

* تنو ونمى / بجوف مصر وهما كورة واحدة ، الحموي ، البلدان ، جـ 2 ، ص 46 .

* الحوف بمصر حوفان : الشرقي والغربي وهما متصلان أو الشرقي من جهة الشام وآخر الغربي قرب دمياط ، ويشتملان على بلدان وقرى كثيرة ، الحموي ، البلدان ، جـ 2 ، ص 322 .

[2] الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف ، الولاة والقضاة ، تهذيب : زمن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1908 ، ص 73 وما بعدها ..

كون بنو هلال أحياء كثيرة في الصعيد وكانوا يركبون الخيل ويحملون السلاح ويعمرون الأرض بالفلاحة[1] ، وكانت لهم الغلبة والسيادة في تلك النواحي[2] ، كما سكنوا الصحراء الواقعة بين مدينتي أسوان وصور [3].

وفي ولاية هشام بن عبد الملك سنة 116هـ/734 ، تولى عاصم بن عبدالله ابن يزيد الهلالي خراسان ، وأوصاه الخليفة هشام بقتل الوالي السابق الجنيد ابن عبد الرحمن ، فذكر الطبري أن هشام قال لعاصم "إن أدركته وبه رمق فأزهق نفسه" لكن الجنيد قد مات قبل وصول عاصم إلى خراسان ، فحبس عبد الله عمال الجنيد وعذبهم[4] .

في هذه السنة أيضاً ، وقعت حرب بين اليمنية بقيادة الحارث بن شريح والي النخذ وبين القيسية بقيادة عاصم بن عبد الله ، فأرسل عاصم جماعة من جنوده منهم الخطاب بن محزر السلمي ، ليأتوا بالحارث ، لكن عندما وصلوا إليه قيدهم وحبسهم ، إلا أن هؤلاء تمكنوا من الفرار من السجن ، واتجهوا إلى مرو ، ولقوا عاصم هناك وأخبروه بما حدث . توجه الحارث إلى بلخ ، وعليها نصر بن سيار التجيبي بن ضبيعة ، وكان جيش الحارث أربعة آلاف ، وجيش نصر عشرة آلاف ووقعت معركة كانت في غير صالح نصر ، دخل الحارث بلخ وثم قرر مهاجمة مرو ، فاستعد عاصم بن عبد الله لملاقاته ووقعت معركة بين الطرفين ، وانهزم أصحاب الحارث ، ثم تجدد القتال مرة أخرى وهزم الحارث مرة أخرى ، وكانت ولاية عاصم أقل من سنة ، تولى بعدها أسد بن عبد الله ، فحبس عاصماً وأخذ منه مائة ألف درهم[5].

وعندما قامت الدولة العباسية ، التي سيطر فيها كل من الموالي والعجم ، عندما استعان خلفاء الدولة العباسية الأوائل بهم وقربوهم إليهم ، ففي عهد المأمون سنة 193-198هـ/808-813م ، وقع صراع بين المأمون والأمين سنة 194هـ/809م ، وانقسم أهل الحوف ووقعت عدة معارك بين أنصار الأمين والمأمون

---

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ6 ، ص 10 .

(2) المقريزي ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 190.

(3) البكري ، أبو عبيد ، المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن وأتدري فيري ، جـ 2 ، د.ط ، الدار العربية للكتاب ، 1992 ، ص619.

(4) الطبري ، المصدر السابق ، جـ 7 ، ص 94 . ابن الأثير ، الكامل ، جـ 3 ، ص 3 ، ص 410 .

(5) الطبري ، المصدر السابق ، جـ 7 ، ص 95 وما بعدها . ابن الثير ، المصدر السابق ، جـ4 ، ط3 ، ص 411 .

وتوالت ثورات أهل الحوف الموالية للأمين ، ولكن هذه الثورات سكنت بعد مقتل الأمين سنة 195هـ/810م [1].

وفي سنة 212هـ/827م ولي إمارة مصر عيسى بن يزيد ، وحدثت حرب بين عيسى وأهل الحوف بقيادة عبد الله بن حليس الهلالي و عبد السلام بن أبي الماضي ، وكان سبب هذه الثورة زيادة عامل الخراج مقدار الخراج وظلمه للناس وتعسفه ، وتمكن أهل الحوف من هزيمة جيش عيسى بن يزيد ، وعزله وتولى بعده عمير بن الوليد سنة 214هـ/829م ، ونتيجة لاستمرار ثورة أهل الحوف ، قرر عمير الخروج بجيشه لمحاربتهم ، ووقعت معركة بين الطرفين قتل فيها عمير بن الوليد بمكان يسمى اليهودية [2].

فولي إمارة مصر بعده عيسى بن يزيد للمرة الثانية ، وظلت ثورة عبد الله الحليسي مستمرة ، ووقعت بينه وبين جيش عيسى عدة معارك ، انهزم فيها عيسى ابن يزيد وعندما علم المأمون بذلك ، بعث أخاه المعتصم إلى مصر لإخماد هذه الثورة ، وصل المعتصم إلى مصر ومعه أربعة آلاف من جنوده الأتراك ، وبدأ في قتال أهل الحوف وهزمهم[3] ، وألقى القبض على عبد الله الحليسي وعبد السلام بن أبي الماضي وسجنهما ، وقتلا في الحيرة وصلبا .

فقال معلى الطائي :-

إن الحلسي غداً سابقاً   في حلبة الجسرين قد قصبا
على طمر ماله أرجل   من صنعة النجار قد شذبا
وليس يدري عند إلجامه   من أثغر الطرف ومن لبا
مسمر الخلق أمول الشوى   يأنف أن يأكل أو يشربا
ولو ترى ليلة كلها   ما جاوز الجسر ولا قربا[4]

---

[1] السيوطي ، المصدر السابق ، ص 191 .

[2] الكندي ، المصدر السابق ، ص 158 وما بعدها . ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في الملوك مصر والقاهرة ، جـ 2 ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1930 ، ص 205 . عبد الله خورشيد ، المرجع السابق ، ص 137 .

[3] السيوطي ، جلال الدين ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تصحيح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998 ، ص 12 .

[4] الكندي ، المصدر السابق ، ص 189 .

وبوفاة المأمون سنة 218هـ/833م ، تولى الخلافة المعتصم ، وهو أول من أدخل الأتراك الديوان واستعان بهم[1] ، الذي أرسل إلى واليه على مصر كيدر بن نصر ، أمراً بإسقاط العرب من الديوان وقطع العطاء عنهم ، ونتيجة لذلك قامت ثورة في الحوف شملت العرب والقبط ، وقاموا بطرد عمال المعتصم لسوء معاملتهم لأهل الحوف[2] .

وفي عهد الواثق ، قامت الكثير من قبائل الجزيرة العربية بأحداث شغب ، تمثلت في نهب القرى ما بين مكة والمدينة ، وكانت هذه القبائل هي فزارة وغطفان وأشجع وبني ثعلبه وبني كلاب ونمير وبني سليم وبني هلال ، وقد قادها عزيز بن قطان السلمي ، فخرج إليهم حماد بن جرير في مائتي فارس ، وكانت بنو سليم كارهة للقتال ، لكن حماد أصر على محاربتهم ، وانتهت المعركة بانتصار بني سُليم وهزيمة حماد وجيشه ، فأرسل الخليفة الواثق قائده بغا الكبير ، لمحاربة القبائل الثائرة فبدأ هجومه على بني سليم وقتل منهم خمسمائة وأسر مثلهم، ثم أمنهم وحبس مهم زهاء ألف رجل ، وبعث إلى بني هلال ، يعرض عليهم مثل ما عرض على بني سليم فقبلوا ، وأخذ منهم ثلاثمائة رجل ، وأخذ رهائن من قبائل فزارة وغطفان وأشجع وبني ثعلبه بعد أن حاربهم[3] .

ولعل السبب في قيام هذه القبائل بمثل هذه الأعمال هو سياسة الدولة العباسية في آخر أيامها والتي اتسمت بالضعف ، وسيطر الأتراك على مقاليد الأمور ، وإبعاد العرب عن المشاركة في إدارة هذه الدولة .

3 ـ انضمام قبائل بني هلال وبني سليم إلى القرامطة وإنتقالهما إلى الشام ومنها إلى مصر :-

تعود حركة القرامطة بجذورها إلى الدعوة الإسماعيلية ، وهم من غلاة الرافضة [4]، و كانوا يبثون أفكارهم بين صفوف البدو في بادية الشام والصحراء

---

[1] السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 213 .

[2] الكندي ، المصدر السابق ، ص ص 190-193 . المقريزي ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 168 . ابن تغزي بردي ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 223 .

[3] الطبري ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ط 4 ، ص 129 وما بعدها .

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 200 .

وجنوب العراق ، وزاد من انتشار هذه الحركة الاضطرابات السياسية التي مرت بها الدولة العباسية .

ظهر القرامطة أول الأمر كفرقة في العراق بسواد الكوفة سنة 278هـ/891م [1] وكان أول دعاتها يدعى الحسين الأهوازي ، الذي قابل حمدان بن الأشعث بسواد الكوفة وتلقب بقرمط وكان رجلاً زاهداً [2]، ودخل القرامطة تحت قيادة حمدان ابن الأشعث مرحلة جديدة ، فقد فرض على كل من يجيب دعوته مبلغ من المال ما بين الدرهم والدينار وسبعة دنانير [3] .

كان دعاة القرامطة يترددون على قبائل قيس [4]، فقد سير أبو طاهر سريه إلى هذه القبائل وفرضوا على أهالي الجزيرة إتاوة على كل رأس دينار [5] يحملونها إلى هجر ، ودخل في دعوته جماعة من بني سليم بن منصور ، وبني هلال ، وبني عامر بن صعصعه[6] ، وخافه الأعراب وهربوا من بين يديه[7].

وسبب كثرة دعاة القرامطة في الجزيرة العربية ، هجرة أعداد هائلة من القبائل خاصة قبائل عامر بن صعصعه وغيرها مثل عقيل نمير وخفاجة وسليم نحو الشام والعراق ، وأدى التنافس فيما بين القرامطة والدولة العباسية للاستعانة بهذه القبائل ، ودفع الكثير من الأموال والغنائم لإغراء زعماء القبائل للانضمام إلى أحد الطرفين ، وهناك من الزعماء من استغل هذا الوضع لصالحه ولمنفعته الشخصية فقط[8] .

وقد أدت سياسة الدولة العباسية والقرامطة مع القبائل العربية ، إلى ضعف الانتماء الوطني لدى هذه القبائل ، وأصبحت تسعى لكسب الأموال الطائلة من أي من الطرفين .

---

(1) نفسه ، جـ 3 ، ص 703 . ابن خلكان ، أبو العباس أحمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق أحسان عباس ، جـ2 ، د.ط ، دار الثقافة ، بيروت ، 1969 ، ص 147 .

(2) سهيل زكار ، أخبار القرامطة ، د.ط ، دار الكوثر ، الرياض ، 1989 ، ص 128 – 129 .

(3) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 92 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 181 . سهيل الزكار ، المرجع السابق ، ص 130 .

(4) ابن الأثير ، الكامل ، جـ 6 ، ص 92 .

(5) نفسه ، ص 93 .

(6) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 14 ، ص 191 . المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق : عبد المجيد عابدين ، ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1961 ، ص 125 .

(7) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 8 ، ص 181.

(8) سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص 154 .

في سنة 283هـ/896م ، أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين ، فانظم إليه القرامطة وجماعة من بعض القبائل العربية [1] .

وفي عام 289هـ/901 أرسل الخليفة المكتفي بالله جيشاً لمحاربة القرامطة إلا أنه هزم ، واستباح القرامطة المعسكر وأخذوا ينهبون جميع ما يمرون به من القرى [2]. في سنة 352هـ/963م قدم القرامطة إلى الشام[3] ودخل في دعوتهم بني العليص بن ضمضم وبني الأصبغ من كلب[4] وزاد نفوذهم في سورية ، فملكوا دمشق سنة 360هـ/907 ، ثم الرملة ويافا[5] .

سار القرامطة إلى مصر وكان معهم بنو هلال[6] ، ونزلوا بعين شمس سنة 363هـ/973م ، وانضم إليهم الكثير من عرب الشام بقيادة حسان بن الجراح الطائي ، فلما كثرت جموعهم ، قرر المعز لدين الله الفاطمي ، التفكير ملياً قبل أن يواجههم، واستشار أهل الرأي من أصحابه ، الذين أوصوه بالعمل على تفريق كلمة القرامطة ، وتم ذلك عندما أرسل المعز لدين الله الفاطمي قائد العرب ابن الجراح، واتفق معه على حيلة تقضي بانسحاب العرب من المعركة ، مقابل دفع المعز لدين الله مبلغ وقدره مائة ألف دينار ، وتم للمعز لدين الله النصر على القرامطة ، وطردهم إلى بلادهم[7]، وتوفي المعز لدين الله وخلفه ابنه العزيز بالله سنة 365هـ/975م ، والذي تمكن من عزل قبائل بني هلال وسليم عن القرامطة، وسمح لهم بالاستقرار في مصر فنزلوا بالصعيد في الصحراء الشرقية وأقاموا هناك ، خاصة أن الدولة الفاطمية كانت ترغب في الاستعانة بهذه القبائل القوية ، حيث امتلأت بجموعهم الصحراء

---

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 14 ، ص 189 . ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 147 .

(2) سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص 471 .

(3) ابن تعزي بردي ، المصدر السابق ، جـ 3 ، ط 1 ، ص 326 .ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 148 .

(4) سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص 469 .

(5) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة أحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1967ف ، ص 127 . سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص 470 .

(6) ابن خلدون ، العبر ، جـ 2 ، ص 643 .

(7) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 104 . السيوطي ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 16 . ابن الأثير ، الكامل ، جـ 7 ، ص 343 .القلانسي ، أبي يعلي حمزة ، ذيل تاريخ دمشق ، د.ط ، مطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت ، 1908 ، ص 3 . سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص 514 .

الشرقية[1] ، وعندما انتهت دولة القرامطة ، طرد بنو سليم من البحرين ، فساروا إلى مصر واستقروا بها[2] .

ومما سبق يستنتج أن سياسة الدولة العباسية اتجاه العرب ، كانت سبباً في كثير من ثورات القبائل العربية والتي منها قبائل بني هلال وبني سليم ، حيث قامت هاتان القبيلتان بالكثير من الثورات في الجزيرة العربية ، أما في مصر فنظراً لسوء معاملة الولاة لأهل الصعيد ، عمل خلفاء الدولة العباسية على إبعاد العرب عن مراكز القيادة ، وكان آخر هذه السياسة إسقاط المعتصم لأسماء العرب من الديوان ، وأدى هذا العمل إلى ظهور حركة تمرد واسعة استمرت حتى سقوط الخلافة العباسية .

أما بالنسبة للقرامطة ، فقد كان انضمام هاتين القبيلتين إليهم ، ربما كان بسبب الخوف والرهبة ، فاشترط القرامطة على أهل الجزيرة إما الانضمام إليهم والاشتراك معهم في حروبهم ، وإما أن يدفعوا لهم الإتاوة ، لذلك فضل بنو هلال وبنو سليم الانضمام للقرامطة والاشتراك معهم في الجيوش .

يتبين أن قبائل بني هلال وبني سليم دخلت إلى مصر في أكثر من مجموعة، فكانت الأولى سنة 109هـ/727م عندما سمح هشام بن عبد الملك لوالية على مصر باستجلاب أعداد كبيرة من بني سليم وبني هلال إلى مصر والمجموعة الثانية هي التي دخلت بعد القضاء على القرامطة .

---

(1) المقريزي ، المصدر السابق ، ص 126 .

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 195 .

الفصل الثاني
أسباب ودوافع هجرة بني هلال إلى أفريقية

أ: الأسباب السياسية

1 . الاضطرابات في أرجاء الدولة الفاطمية .

2 . إعلان انفصال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية .

ب: الأسباب الاقتصادية

1 . الأحوال الاقتصادية في مصر .

2 . رغبة الفاطميين في التخلص من قبائل بني هلال .

ج : الأسباب الدينية

1 . فرض الفاطميين للمذهب الشيعي واضطهادهم للأهالي .

2 . ثورة أهالي المغرب على المذهب الشيعي.

د : هجرة بني هلال و بني سليم إلى أفريقية

1 . المسالك والطرق .

2 . وصول بني هلال إلى أفريقية .

3 . الصدام بين بني هلال والمعز بن باديس

أ : الأسباب السياسية

1 ـ الاضطرابات في أرجاء الدولة الفاطمية :-

قامت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب سنة 297هـ/909م ، بعد أن لقي أهم دعاتها أبو عبد الله الشيعي ، الدعم والمساندة من قبائل كتامة وعجيسة وزواوة[1]لكن ما لبثت أن قامت ضد هذه الدولة ، كثير من الفتن بسبب ما أحدثه قتل أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس ، وهما داعيا الدولة الفاطمية ومؤسسيها[2]، وتم قتل أبو عبيد الله الشيعي بعد عام واحد من قيام الدولة لأن الخليفة كان يريد الاستئثار بالملك[3] ، فقد ثار الأهالي بمدينة رقادة سنة 298هـ/910م ، لكن المهدي آمن الناس ، حتى سكنوا ثم قتلهم ، وثارت فتنة أخرى بين كتامة وأهالي القيروان وقع فيها قتلى كثيرون . ولكن عندما رجعت كتامة إلى بلادها ، عاودت الانتفاض من جديد ، لأن عبيد الله المهدي ، كان قد وعدهم بالسماح لهم بنهب القيروان سنة 299ه/911م ، ولكنه لم يف بوعده ، ونصبوا طفلاً يدعى المارطي واسمه كادد بن مُعارك ، وجعلوه قبلة يصلون إليه ، وسيطر على الزاب وقوى أمره [4] وادعوا أنه المهدي ، فأرسل إليهم المهدي ابنه أبا القاسم ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل منهم خلق كثير ، وقتل الطفل ، كما ثار أهل صقلية على المهدي، وأهل تاهرت[5]

وفي سنة 300 هـ/912م ، قاد شخص يدعى محمد بن أبي أيوب (أبي العاهة) مع آخرين ثورة ضد الفاطميين في القيروان ،فتم إعدامه بتهمة الخيانة وقام الفاطميون بهدم عدداً من المباني[6].

كما ثار في نفس السنة ، أهالي مدينة طرابلس وطردوا عامل عبيد الله المهدي (ماكنون الإجابي) وولوا بدلاً منه محمد بن إسحق (ابن القرلين) ، فأرسل

---

(1) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ6 ، ص 124 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 69 . ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 129 .

(2) الزهري ،أبو عبد الله محمد أبوبكر ، كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، د.ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 110 . ابن عذراي ، أبن أبو العباس ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج.س كولان . و ليفي بروفنسال ، جـ1 ، د.ط ، دار الثقافة ، بيروت ، ص 116 . المقريزي ، المصدر السابق ، ص 68 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ6 ، ص 134 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص ص 77 ، 78 .

(3) مختار ، العبادي في التاريخ العباسي والفاطمي ، د.ط ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، 1987 ، ص 230 .

(4) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ6 ، ص 134 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 78 . المقريزي ، المصدر السابق ، ص 68 .

(5) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 47 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 135 .

(6) ابن عذراي ، المصدر السابق ، ص 169 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 78 . سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، جـ3 ، د.ط ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ، 1998ف ، ص 75 .

عبيد الله جيشاً بقيادة ابنه أبي القاسم إلى طرابلس ، فحاصر المدينة ومنع المؤن والأقوات عن أهلها حتى استسلموا ، فقام بقتل ثلاثة زعماء من زعماء الثورة وغرمهم مبلغاً وقدره ثلاثمائة ألف دينار [1] ، وقيل أربعمائة ألف دينار [2] .

أرسل عبيد الله في سنة 301هـ/913م جيشاً إلى مصر [3] ، بقيادة حباسة ابن يوسف وفي طريقة إلى مصر ، دخل الجيش سرت وإجدابيا ، بعد أن أمن أهلها ، وعندما وصل الجيش الفاطمي إلى برقة في سنة 302هـ/914م تم قتل حوالي ألف رجل من أهلها وتغريمهم غرامة مقدارها مائة ألف مثقال [4] .

ثأر أهالي برقة ، بعد أن خرج الجيش الفاطمي منها ، وقتلوا الكثير من الكتاميين فأرسلت الدولة الفاطمية ، جيشاً بقيادة مدين بن فروخ اللهيصي، تمكن من دخول المدينة بعد حصار دام 18 شهراً ، وتم قتل معظم الأهالي ، والاستيلاء على أموالهم ، وبعث بجماعة من أهل برقة إلى عبيد الله حيث أمر بقتلهم [5] .

وفي سنة 302هـ/914م جمع عروبة بن يوسف الكتامي خلقاً كثيراً ، وثار في القيروان على المهدي ، فأرسل إليه المهدي جيشاً بقيادة مولاه غالباً ووقعت بينهما معركة قتل فيها عروبة وبني عمه ومعهم خلقاً كثيراً في القيروان .

وتم في هذه السنة بناء المهدية [6] وظهر ثائر آخر في المغرب سنة 315هـ/927م ضد الدولة الفاطمية ،وقد أرسل عبيد الله جيشاً ضخماً بقيادة ابنه أبي القاسم ، تمكن من القضاء على هذه الثورة ، وقتل الكثير من الناس [7] .

وفي سنة 322هـ/933م توفى عبيد الله المهدي ، وخلفه ابنه أبو القاسم القائم بأمر الله ، وفي عهده ثار ابن طالوت في طرابلس ، ولكنه تمكن من قتله والقضاء على ثورته. وفي فاس بالمغرب ثار أحمد بن بكر الجزامي على الوالي الفاطمي ،

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 168-169 . اتورى روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911ف ، ترجمة : خليفة التليسي ، ط2 ، الدار العربية للكتاب ، 1991ف ، ص 87

(2) ابن غلبون ،أبو عبد الله محمد ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار ، تصحيح : الطاهر أحمد الزاوي ، ط2 ، مكتبة النور ، طرابلس ، 1967ف ، ص 20 .

(3) المقريزي ، المصدر السابق ، ص 69 .

(4) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 170 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ، ص 149 .

(5) ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 175 .سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 76 .

(6) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ،، ص 149 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 79 . ابن غلون ، المصدر السابق ، ص 22

(7) المقريزي ، المصدر السابق ، ص 72 . سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 21 .

فأرسل أبو القاسم جيشاً بقيادة ميسور الفتى تمكن من القبض على هذا الثائر ، وتحصن أهالي فاس داخل أسوارهم ، وحوصروا زهاء سبعة شهور ، ثم صالحهم وبايعوا للقائم بالله[1] .

أما أخطر هذه الثورات وأطولها عمراً ، كانت ثورة يزيد بن مخلد بن كيداد سنة 333هـ/944م ، وهو ينتمي إلى قبيلة يفرن الزناتية ، وكان من الأباضية ، اشتغل بتعليم القرآن والعلوم الدينية للصبيان في توزر ثم انتقل منها إلى تاهرت ومنها إلى تقيوس ، ودعا أبوزيد إلى تكفير الشيعة ، واستباحة أموالهم ودمائهم ، فانضم إليه الكثير من الناس ، ثم أخذ يدعو إلى تغيير المنكر .

خرج أبو يزيد من تقيوس ، بعد وفاة عبيد الله المهدي ، واتجه إلى جبل أوراس ، وأنضم إليه هناك الكثير من الناس[2] .

دخل أبويزيد أفريقية ، واضطر القائم إلى الفرار أمامه من رقادة[3] ، فحاصر بجاية وقسطينية ودخل تبسة* وافتتحها وفتح مجانة وهدم سورها ، ودخل مدينة مرقجتة[4]، وتمكن من هزيمة كتامة ودخل الأربس ، فأحرقها ونهبها، وقتل كل من احتمى بالجامع وافتتح سبيبة وقتل عاملها .

أرسل القائم جيشاً إلى كل من رقادة والقيروان لإيقاف أبي يزيد بقيادة ميسور الفتى وبشرى الفتى ، فزحف بعض عساكر أبي يزيد إلى القيروان وجرى قتال بين الطرفين ، قتل فيه من أهل القيروان خلق عظيم[5] . ودخل أبويزيد ومعه البربر فقتلوا وأفسدوا ، وبعث أبو يزيد أيوب الزويلي وعسكره إلى القيروان فدخلها فنهب البلد ، فقتل وعمل أعمالاُ عظيمة ، وخرج شيوخ القيروان إلى أبي يزيد وهو برقادة فسلموا عليه وطلبوا الأمان فماطلهم ، وأعاد الشيوخ الشكوى وقالوا (خربت المدينة ! فقال :

---

[1] المقريزي ، المصدر السابق ، ص 74 . الناصري ، أبو العباس أحمد ، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري د.ط ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1954 ، ص 189 .ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ط2 ، ص 238 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 83 . إتوري روسي ، المرجع السابق ، ص 88

[2] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ط2 ، 302 وما بعدها . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 84 . المقريزي ، المصدر السابق ، ص 75 وما بعدها . جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، د.ط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1991 ، ص 171 .

* تبسة : بلد مشهور من أرض أفريقيا ، بينه وبين قفصة ست مراحل . الحموي ، البلدان ، جـ2 ، ص 13 .

[3] ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 316 .

[4] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ، 303 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 85 .

[5] ابن أبي زرع ، علي بن محمد ، روض القرطاس ، د.ط ، دار المنصور للطباعة ، 1972 ، ص 100 .

* مفردها ربض : ما حول المدينة ، وقيل هو الفضاء حول المدينة ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ربض .

وما يكون ؟ خربت مكة والبيت المقدس) ، ثم أمر بالأمان ، وبقى طائفة من البربر ينهبون، وعند وصول جيش ميسور من قبل القائم ، وقعت معركة واشتد القتال ، وهزم ميسور وجنده ، وعندما وصل الخبر إلى القائم وهو بالمهدية ، خاف وانتقل هو وأهله من أرباضها* إلى البلد ، واحتموا بسورها ، فأرسل أبو يزيد سرية إلى سوسة ففتحوها بالسيف وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوها ، ولم يبق موضع في أفريقية معمور ولا سقف مرفوع ، وجئ بمن بقى إلى القيروان حفاة عراة ومات أكثرهم جوعاً وعطشاً ، ثم بعث أبو يزيد سراياه إلى المهدية فانتهبت ما وجدت وقتلت من أصابت ، ثم دخل أصحابه زويلة ينهبون ويقتلون أهلها[1] .

توجه أبويزيد بعد ذلك إلى باجة ، وتمكن من هزيمة جيش بشرى الفتى ، ودخلها وأحرقها وقتل الأطفال وسبى النساء ، ثم دخل تونس ومنها إلى القيروان ، وهناك اشتبك مع جيش بشرى ، الذي تمكن من هزيمة أبي يزيد ، وقتل نحو أربعة ألاف من جنده ، وتم أسر خمسمائة قتلوا في المدينة بأيدي العامة[2] .

قرر أبو يزيد الثأر لهزيمته في هذه المعركة ، فتوجه إلى القيروان بجيش عدته مائتي ألف مقاتل ، وتمكن من هزيمة جيش الكتاميين حلفاء الفاطميين في معركة بوادي الملح ، واستولى على رقادة[3] .

تغلب أبو يزيد على معظم أفريقية ، وعندما علم القائم بأمر الله بانتصار أبي يزيد ، أمر بحفر الخنادق حول المهدية ، ويذكر أن أبا يزيد خرب العمران ومات أكثر الناس جوعاً وعطشاً ، ثم توجه أبو يزيد بجيشه لحصار المهدية ، فاستنجد القائم بزيرى بن مناد الصنهاجي[4] ، وبدأ أبو يزيد حصاره للمهدية بعد أن نزل على بعد خمسة عشر ميلاً ، وأغار على القرى التي تقع على أطرافها ونهبها ودمر ما صادفه من عمران .

غير انضمام زيرى بن مناد الصنهاجي مجرى الأحداث ، وبدأت الهزائم تتوالى على أبي يزيد وعسكره ، واضطر إلى حفر خنادق حول معسكره ، وحاول

---

(1) ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 316.

(2) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 303 .

(3) ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص ص 318-319 .البكري ، المصدر السابق ، ص 682 .

(4) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص ص 86-87 . البكري ، المصدر السابق ، ص 684 .

مهاجمة المهدية عدة مرات لكنه مني بالفشل ، فضيق الحصار على المهدية ، فأكل أهلها الدواب والميتة وخرج أكثر السوقة والتجار من المهدية ، ولم يبق بها غير الجند ، وكان البربر ينهبون ويقتلون حتى أفنوا ما كان في أفريقية ، وقد هرب كثير من أهل المهدية إلى جزيرة صقلية وطرابلس ومصر[1] .

كما ثار على أبي يزيد كل من أهالي سوسة سنة 334هـ/945م ، وأهل القيروان وكثر عبث البربر في أمصار أفريقية وضواحيها ، وأهالي مدينتي تيجس وبجاية[2] ، وقد حاصر أبو يزيد مدينة سوسة وشدد حصاره عليها شهوراً.

وتوفى القائم بالله وخلفه ابنه المنصور واخفى خبر موت أبيه ، لكن وصول الإمدادات من المهدية ، قوى شوكة أهل سوسة ، فخرجوا مع عسكر المنصور ، وقاتلوا أبي يزيد وهزموه ونهبوا معسكره وأحرقوه ، ففر إلى القيروان ومنها إلى سبيبة* سنة 334هـ/945م ودخل المنصور القيروان ، فلم علم أبو يزيد بذلك ، قرر مهاجمة المنصور ، وتوالت المعارك بين الجانبين حتى 335هـ/946 ، حيث وقعت معركة ضارية بين أبي يزيد والمنصور وانتهت بهزيمة أبي يزيد ، وعرفت هذه المعركة بواقعة يوم الجمعة[3]، وبلغ عدد قتلى أصحاب يزيد ما يقرب عن عشرة آلاف ، وفر أبو يزيد ، فظلت جيوش المنصور تلاحقه ، حتى ألقى القبض عليه سنة 336هـ/947م ، وقتل بعد ثلاثة أشهر حيث أمر المنصور بسلخ جلده وحشوه تبناً وقيل قطناً[4] .

وتخليداً لهذا الانتصار والقضاء على أخطر الثورات التي قامت ضد الفاطميين ، قام المنصور ببناء مدينة صبرة (المنصورية) سنة 337هـ/948م[5] ، وانتقل إليها واستوطنها ثم نقل إليها المعز لدين الله أسواق القيروان كلها وجميع

---

(1) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6، ص ص 305-306 .

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص ص 88-89 .

* سبيبة ، من أعمال أفريقيا ثم من أعمال القيروان ، الحموي ، البلدان ، جـ 3 ، ص 186 .

(3) ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 235 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 310 . ابن خلدون ، المرجع السابق ، جـ 4 ، ص 91 . البكري ، المصدر السابق ، ص 690 .

(4) ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 320 .

(5) ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 235 .

الصناعات ، وقد آثر بناء صبرة على عمران المهدية فخلت أكثر أرباضها وتهدمت وانحسر العمران عنها[1] .

كانت هذه الاضطرابات سبباً في تفكير الفاطميين بنقل مركز القيادة إلى مكان آخر أكثر أماناً ، فكانت مصر وجهتهم لثرائها وأهمية موقعها ولقربها من الحجاز وبلاد الشام[2] ، بالإضافة إلى اضطراب أحوالها وكثرة الفتن بها وشغل بغداد عنهم[3] .

ومما سبق يستنتج أن بلاد المغرب كافة وأفريقية خاصة كانت مسرحاً لحروب دامية بين الفاطميين وأنصارهم صنهاجة وبين كتامة وباقي القبائل .

وهذا الصراع الذي كان سبباً في دمار أفريقية ، وما ترتب عليه من قتل ونهب وتدمير ، وكانت أخطر هذه الصراعات ثورة أبي يزيد بن مخلد ، الذي استمرت قرابة 14 سنة من سنة 322-337هـ/933-948م ، وكان نتيجة هذا الصراع ، أن أدرك الفاطميون بأنه لا بقاء لهم في بلاد المغرب وأن سكان هذه الأراضي لا يرغبون بهم ، والدليل على ذلك كثرة الثورات الداعية إلى محاربتهم والقضاء عليهم ، كان المغرب الأرض التي ألقى فيها دعاة الإسماعيلية بذور دعوتهم ولكن لم تكن الأرض الصالحة لبقاء هذه البذور لتكبر وتتكاثر بها ، فقرر الفاطميون الخروج من المغرب ، والبحث عن أرض لينقلوا إليها هذه البذور وكانت مصر وجهتهم ، ولذا انتقل الفاطميون إلى مصر ، حيث دخل جوهر مصر في مائة ألف مقاتل عام 358هـ/968م [4] .

استخلف المعز لدين الله على أفريقية يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 361هـ/971م لأن أباه زيري كان قد أظهر إخلاصه ودعمه للفاطميين وظهر هذا الدعم واضحاً في ثورة يزيد بن مخلد [5]، وسماه يوسف ولقبه أبا الفتوح وقد أوصاه عدة وصايا كان منها ألا يرفع السيف على البربر وألا يرفع الجباية على أهل

---

[1] ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 319 .الحموي ، معجم البلدان ، جـ 5 ، ص 391 . البكري ، المصدر السابق ، ص 676 ، 684 .

[2] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، د.ط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2006 ، ص 548 .

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 99 .

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص .

[5] عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، 1968ف ، ص 241 . جاك تيري ، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ، ترجمة : جاد الله وعزوز الطلحي ، ط1 ، الدار الجماهيرية للنشر ، ليبيا ، 2004 ، ص 236 .

البادية ، ولا يولي أحداً من أقاربه[1] . فثار عليه كل من أمير الزاب وقبيلة زناتة ، وكانا من الموالين للأمويين ، وخرج عليه أيضاً أهل تاهرت، فسار على رأس جيش كبير إليها ودخلها وخربها ، ومضى إلى تلمسان ودخلها ثم عاد إلى القيروان ، وفي سنة 366هـ/976م ، أضيفت ولاية طرابلس وسرت وإجدابيا إلى ولاية المغرب تحت أشراف وإدارة يوسف بن زيري ، فخرج إلى سجلماسة واستولى عليها[2] ثم توجه إلى سبتة لكن لم يتمكن من دخولها لمناعتها ، فتوجه إلى فاس ودخلها سنة 368هـ[3] ومنها مضى إلى البصرة* فهدمها وخرب عمرانها ثم سار إلى أصيلا ومنها إلى شالة فغزا أهلها ، وقتل أميرهم ، وأخذ الكثير من النساء والأولاد سبايا[4] ، وفي سنة 373هـ/983م، توفى يوسف بن زيري وخلفه أبنه المنصور الملقب أبا الفتح في أوائل سنة 374هـ/984م ، وقلده العزيز بالله أمر أفريقية والمغرب ، وفي عهدة استولى الزناتيون على مدينتي فاس وسجلماسة فخرج يطوفت أخو المنصور على رأس جيش لمحاربة زناتة ، التي هزمت جيش يطوفت ، وقتل من الصنهاجيين عدداً كبيراً[5] .

وثار في عهده أبو الفهم الخراساني سنة 376هـ/986م ، الذي أرسله العزيزبالله الفاطمي إلى قبائل كتامة ، فحاربه المنصور وخرب بلاد كتامة سنة 378هـ/988م ، وخرب ميلة وهدم سورها ودمر كل ما قابله من حصون كتامة وقصورها ، حتى بلغ سطيف مركز أبي الفهم ، وتمكن من القبض عليه وقتله[6].

وفي سنة 386هـ/996م توفى المنصور وخلفه ابنه باديس ولقبه الحاكم نصير الدولة ، وقد واجه مجموعة زناته التي كانت بقيادة زيري بن عطية ، والتقى الجيشان في مكان يقال له آمسار بالقرب من تاهرت ودارت معركة عنيفة بينهما ، انتهت بهزيمة جيش باديس ، ودخل زيري بن عطية تاهرت[7] .

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، 318 .ابن خلكان ، المصدر السابق ، ، جـ 1 ، ص 286 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 103 .

[2] ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 329 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 8 ، ص 620. ـ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ط6 ، ص 318 .

[3] ابن خلدون ، نفسه ، جـ 6 ، ص 273 .

* البصرة ، بلد في المغرب قرب السوس . الحموي ، البلدان ، جـ1 ، ص 440 .

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 319 .

[5] ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 244 . ـ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ6 ، ص 320 .

[6] ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 248 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 7 ، ص 133 .

[7] ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 258 .

ثم دخل باديس في صراع مع عمه حماد صاحب القلعة سنة 387هـ/997م، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت بهزيمة حماد[1] ، ثم توفي باديس سنة 406هـ/1014 وخلفه ابنه المعز ، الذي عقد الصلح مع عمه وقسمت الدولة الصنهاجية إلى قسمين دولة آل زيري في القيروان ودولة بني حماد أصحاب القلعة وبجاية[2] .

وتعرضت في سنة 427هـ/1035م ، المنصورية لهجوم من زناته ، فواجهها المعز بجيوشه وتمكن المعز من هزيمة زناته سنة 428هـ/1036م وقتل خلقاً كثيراً وفي سنة 429هـ/1037م توجه المعز بجيشه إلى الزاب ، وقتل الكثير من أهلها [3].

2- إعلان انفصال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية :

كان الود والسلام يسود العلاقات بين مصر والدولة الصنهاجية في أفريقية، في إمارة أبي الفتوح يوسف بلكين بن زيري ، ثم خلفه ابنه أبو الفتح المنصور ، وكانت خلافته تمثل دوراً آخر في العلاقات بين الطرفين ، فقد أظهر رغبته في الانفصال ، وظهر ذلك واضحاً في كلامه لشيوخ القيروان الذين جاءوا لتهنئته بالإمارة حيث قال : "إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهراً ، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان ، وما أنا في هذا الملك ممن يولي بكتاب ويعزل بكتاب ، لأني ورثته عن آبائي وأجدادي وورثوه عن آبائهم وأجدادهم"[4] . وعندما علم الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، بنوايا أبي الفتح أرسل أليه أبو النهم الخراساني ليؤلب عليه قبائل كتامة سنة 376هـ/986م [5] ، وعندما فشلت خطة العزيز آثر أن يلاطف المنصور ، فأرسل إليه سنة 384هـ/994م هدية جليلة .

وعندما تولى الحاكم بالله الخلافة سنة 388هـ/998م ، أرسل هدية أخرى إلى المنصور تشمل جوهراً وأعلاق نفيسة[6] . أما في عهد باديس فقد عاد التوتر في

---

[1] ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، جـ1 ، دار المعارف ، مصر ، ص440 .

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص ص 323-324 .

[3] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 275 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، 322 .

[4] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 240 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 7 ، ص 121 .

[5] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 241 . المقريزي ، المصدر السابق ، ص 263 .

[6] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص ص 247-249 .

العلاقات بسبب سياسة الحاكم بالله تجاه باديس ، والتي تمثلت في إرساله جيشاً بقيادة واليه على برقة يأنس العزيزي إلى طرابلس سنة 390هـ/999م ، للاستيلاء عليها، لكن هذه الحملة فشلت وهزم الجيش الفاطمي [1]. ونتيجة لذلك قرر الحاكم بالله العودة إلى سياسة التودد فأرسل سنة 403هـ/1012م ، مركباً فيه هدية جليلة ، وسادت العلاقات الطيبة بين الطرفين ، وقد بادله باديس الهدايا عام 405هـ/1014م [2].

وفي ولاية المعز بن باديس على أفريقية ، عاد التوتر من جديد في العلاقات بين الطرفين ، فكان المعز يسعى للانفصال السياسي عن مصر ، فقد ذكر ابن عذارى ((لم يزل المعز يعمل فكرة في قطع الدعوة لهم إلى أن كانت سنة 440هـ/1048)) [3] . وأخذ يحمل الناس على نبذ المذهب الإسماعيلي ، وكان المعز على توافق كامل مع شعبه الذي يرغب في التخلص من الفاطميين ومن مذهبهم . والعودة إلى المذهب المالكي ، لم يحاول الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله استثارة غضب المعز ، بل بعث إليه عام 407هـ/1016م . أي بعد مرور أشهر على مذبحة الشيعة . بسجل يلقبه فيه بشرف الدولة ، وفي سنة 411هـ/1020م وصلت من الحاكم بأمر الله هدية إلى المعز ، وفي سنة 414هـ/1023م أرسل الخليفة الفاطمي الظاهر لقباً جديداً إلى المعز مسماه شرف الدولة وعضدها[4] .

في سنة 442هـ/1050 أشتد الخلاف بين المعز وبين وزير المنتصر اليازوري فقد كانت تبودلت المراسلات بين المعز والوزير اليازوري ، وأحط المعز فيها من قدر اليازوري [5] ، وقد كتب المعز إلى الوزير قطعة بخط يده فيها بيت من الشعر يقول :-

وفيك صاحبت قوماً لا أخلاق لهم   لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 124 .

[2] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 259 .

[3] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1، ص 260 .

[4] ابن عذاري ، جـ 1 ، ص ص 269-271 .

[5] الصيرفي ، علي بن منجب ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق : عبد الله مخلص ، د.ط ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، 1923ف ، ص 72 .

وذكر بن أبي دينار أن الوزير قال لأصحابه : "ألا تعجبون من صبي بربري معزبي يحب أن يخدع شيخاً عربياً عراقياً .."[1] .

أظهر المعز في سنة 440هـ1048م ولاءه للدولة العباسية ، وقام بقطع الخطبة للخليفة الفاطمي المنتصر ، وأحرق بنوده الخضراء ، ودعا على منابر أفريقية للعباس بن عبد المطلب[2] ، وقيل أن ذلك كان في سنة 443هـ[3] .

عندما علم الخليفة المنتصر بما فعله المعز بن باديس ، كتب إليه يتهدده[4] قائلاً: "هل اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء ... " وكان رد المعز عليه "وإن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم .."[5] وقد أمر المعز في العام نفسه 443هـ/1051 بلعن الفاطميين في الخطب ، وأمر في العام التالي 444هـ/1052م بسك ما لديه من الدنانير والدراهم التي تحمل أسماء بني عبيد الله وإزالة أسمائهم من الرايات والطرز [6]. وذلك بعد أن استشار أحد فقهاء السنة ، وسأله هل هذه الطرز التي تحمل أسماء الفاطميين وغيرها مما يلبس ويصلى فيها[7] .

وبدأ بتغيير لون أعلام الفاطميين ، وأرسل إلى بغداد رسولاً يستحضر الخلع والألوية السوداء ، لكنه قبض على هذا الرسول من قبل إمبراطور الروم ، وأرسل إلى القاهرة ، وأمر المنتصر بإحراق العهد واللواء[8] ، وقام المعز بإخراج ثياب بيضاء من فندق الكتان بالقيروان ، وصبغها باللون الأسود الحالك ، ووزعها على الفقهاء وخطباء المساجد بالقيروان ، وجميع المؤذنين بعد أن جمع الخياطين وأمرهم بقطعها

---

(1) المؤنس أخبار أفريقية وتونس ، ط3 ، دار المسيرة ، لبنان ، 1993 ، ص 105 . ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص275. الزهري ، المصدر السابق ، ص 112. ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 28 .

(2) الشنتريني ،أبو الحسن علي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ط1، دار الثقافة ، بيروت ، 1979ف ، ص 614 . ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 277 . ابن أبي دينار ،محمد بن أبي القاسم المصدر السابق ، ص 105 .

(3) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، 1935ف ، ص 50 .

(4) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 131 .

(5) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ص 321 .

(6) ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص ص 277-278 .

(7) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1964 ، ص 336 .

(8) المقريزي ، المصدر السابق ، ص 222 .

أثواباً ، وانصرف الجميع إلى الجامع حيث تم لعن بني عبيد[1] . وقام المعز بتخريب دور الإسماعيلية ومارسها في القيروان وغيرها من مدن أفريقية[2] .

وبذلك فصل المغرب الأدنى أو أفريقية نهائياً ، عن الخلافة الفاطمية في مصر ، وكان هذا العمل بمثابة إعلان حرب بين الطرفين [3] ، كان لهذا الإعلان صداه القوي في كل من طرابلس وبرقة ، اللتان أعلنتا انفصالهما عن الدولة الفاطمية ، ومبايعتهما للمعز بن باديس ، فقد كتب أمير برقه جبارة بن مختار العربي إلى المعز يبايعه ويعلمه أن أهل برقة أحرقوا المنابر ورايات بني عبيد وتبرؤوا منهم ولعنوهم ، ودعوا للخليفة العباسي[4] .

ومما سبق يستخلص أن العلاقات بين الطرفين كانت بين المد والجزر ، وكانت الأحداث تنبأ بوقوع الانفصال في أي وقت ، لأن العامة كانوا يكرهون سياسة الدولة الفاطمية المتعصبة ، فقد كان الفاطميون أول أمرهم يسعون إلى نشر المذهب الشيعي في المغرب ، لكن هذا الأمر هو الذي جعل الفاطميين يهزمون في المغرب كله .

ولكي يثأر الفاطميون لهزيمتهم وتقلص وجودهم الديني والسياسي في أفريقية ، رأوا أن يرسلوا قبائل بني هلال وبني سليم إلى أفريقية ، لتعيد إليهم ما خسروه .

وأشار الوزير اليازوري على الخليفة بإرسال هذه القبائل وكان له دوافعه الشخصية الخاصة المتمثلة في العداء بينه وبين المعز بن باديس ، أما على الصعيد السياسي فقد كان إعلان المعز الانفصال عن مصر هو السبب المباشر بالنسبة للدولة الفاطمية لإرسال بني هلال وإخوانهم بني سليم على أفريقية[5].

ب : الأسباب الاقتصادية

1 ـ الأحوال الاقتصادية في مصر :

---

[1] ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص ص 277-280 .

[2] حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص 337 .

[3] عبد اللطيف محمود البرغوثي ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، د.ط ، دار صادر ، بيروت ، 1972ف ، ص 331 .

[4] ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 288 .

[5] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص285 .

سببت الأزمة الاقتصادية في مصر في عهد الدولة الفاطمية ، كثيراً من الاضطرابات السياسية ، على الصعيدين الخارجي والداخلي للخلافة الفاطمية ، فقد انحسر المد الفاطمي وتقلص في كثير من الأماكن التي كانت تخطب باسم الفاطميين كما حدث في مكة والمدينة المنورة سنة 428هـ/1036م ، إذ انقطع ما كان يأتيهم من الأموال بسبب انقطاع النيل ، فخطبا كل من أميري مكة والمدينة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وقطعا خطبة المنتصر[1] .

وكانت الأزمة الاقتصادية في مصر ، قد بدأت قبل هذا التاريخ بمدة طويلة ففي سنة 352هـ/963م ، وقع الغلاء وقل منسوب النيل وسبب ذلك ارتفاع الأسعار وكثرة الفتن [2].

ذكر المقريزي أنه "في سنة 359هـ/969م زاد الغلاء ونزعت الأسعار ، وجمع القماحون في موضع واحد ، ولم يدع كف قمح يجمع إلا بحضرته إي جوهر[3] .

توالت الأزمة في مصر ففي سنة 360هـ/970م ، كثرت الأمراض والأوبئة بالقاهرة ، وتشدد عمال الجباية في جمع الخراج بالدينار المعزي ، فقد أمر عسلوج ابن الحسن الذي قلده المعز جميع المناصب الإدارية ، كالخراج والحسبة وغيرها، أن الخراج لا يجمع إلا بالدينار المعزي ، فانحط الدينار الراضي ، ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار ، ونتج عن ذلك أن خسر الناس أموالهم[4].

صاحب اضطراب منسوب النيل ، عدم استقرار السياسة المالية التي اتبعها جوهر فقد كان التداول في مصر ، يتم بالدينار الراضي على اسم الخليفة العباسي الراضي (الدينار الأبيض) الذي كان معروفاً ومتداولاً في زمن الأمويين ، ولكن عند وصول جوهر إلى مصر سعى إلى وضع عملة فاطمية جديدة وتشدد في جمع الضرائب بها ، وكان من تلك العملة الدينار المعزى نسبة إلى الخليفة الفاطمي المعز ، والدينار المغربي والذي جئ به من المغرب عند دخول الفاطميين مصر[5].

---

[1] ابن تعزي بردي ، المصدر السابق ، جـ 5 ، ص 20 .

[2] نفسه ، جـ 3 ، ص 326 .

[3] المصدر السابق ، جـ 3 ، ص 120 .

[4] نفسه ، ص 128.

[5] عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، جـ 1 ، ط 2 ، مكتبة الانجلو ، مصر ، 1973 ف ، ص 128 .

فقد منع جوهر التعامل بالدينار الأموي وكانت قيمته 10 دراهم ، وكانت قيمة الدينار العباسي 15 درهماً ، فأمر أن يكون الدينار المعزي 25 درهماً ونصف ، رفض الناس التعامل بالدينار المعزي فخفض جوهر قيمة الدينار الأبيض إلى 6 دراهم ونتيجة لفقر الناس وعدم مقدرتهم على التعامل به ، وفي سنة 362هـ/973م ، جعل جوهر قيمة (الدينار الأبيض) ثمانية دراهم فقط[1].

كان جوهر يهدف من وراء هذا الأجراء ، إلى دفع الناس للتعامل بالدينار والدرهم الرسمي الفاطمي ، وذلك إتباعاً للسياسية الفاطمية التي كانت ترغب في تغيير كل شيء وفي أي مكان ينزلون به ، فتغيير العملة سبقها أيضاً تغيير المذهب ، وكان الفاطميون يتشددون في أرغام الناس على القبول بالتغييرات التي أحدثوها سواء كانت مالية أو مذهبية أو إدارية .

انفق المعز الفاطمي الكثير من الأموال في رحلته إلى مصر ، وعندما وصل لم يجد في مصر الكثير من المال ، فأمر المعز بالتشدد في جباية الخراج بالدينار المعزي والذي كانت قيمته 15 درهماً ، لأن المعز أراد أن يعوض ما خسره في رحلته إلى مصر ، فقد ذكر المقريزي[2]، أن عمال المعز استخرجوا في يوم ما يزيد عن 50 ألف دينار معزية واستخرج في يوم 120 ألف دينار معزية .

وكثرت الأمراض وانتشر الوباء في مصر وتسبب في موت آلاف وكان ذلك خلال سنوات 363هـ/973م ، 364هـ/974م ، 367هـ/977م ، فقد ذكر المقريزي[3] أنه في سنة 367هـ/977م انتشر في مصر وباء عظيم ، سبب في موت 7760 سوى من لم يعلم بموته ، أما من دفن بلا كفن فكثير .

أصدرت الدولة الفاطمية في سنة 382هـ/992م ، دراهم جديدة فكان الدرهم الجديد يساوي 5 دراهم قديمة ، ونتج عن ذلك اضطراب أسعار اللحم والخبز والقمح [4]، وفي سنة 420هـ/1029 كثر الوباء ، وفي سنة 422هـ/1030هـ ارتفع السعر بسبب نقصان النيل[5] ، وفي سنة 425هـ/1033م كثرت الزلازل بمصر ، واستمرت

---

(1) المقريزي ، المصدر السابق ، ص 122.
(2) نفسه ، ص 147 .
(3) نفسه ، ص 246 .
(4) المقريزي ، المصدر السابق ، ص 274 .
(5) نفسه ، جـ 2 ، ص 291 .

هذه الأزمة ففي سنة 428هـ/1036م قل مستوى ارتفاع النيل ، ووقع الغلاء ،والوباء بمصر وأختل الأمر ، وارتفعت الأسعار فبلغت راوية الماء 13 قيراطاً ، وبلغ سعر 13 رطلاً من الخبز ديناراً، وعدمت الأقوات ، وسبب تزايد الغلاء ، أن جلا الكثير من أهالي مصر ، بسبب الجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا ، ومات أكثر أهل مصر ، وأكل بعضهم بعضاً[1].

فقد ذكر تغري بردي "أن بعض الطباخين ذبحوا عدداً من الصبيان والنساء وأكلوا لحومهم " ، وسبب هذا الجوع أن ارتفعت أسعار الدواب ، فقد بيع الكلب 5 دنانير والسنور 3 دنانير ، ولم يبق للخليفة الفاطمي المنتصر سوى 3 أفراس وكانت عنده 10000 ما بين فرس وجمل ودابة[2] ، وفي سنة 444هـ/1052م قصر مد النيل وارتفع السعر بمصر[3].

ومن هنا يتبين أن سوء الأحوال الاقتصادية في مصر ، والمتمثلة في المجاعات ، التي ترتب عليها الخوف واضطراب الأمن وموت الآلاف ، شكل السبب الرئيسي الذي دفع بقبائل بني هلال وبني سليم للهجرة إلى أفريقية ، أن الأزمة الاقتصادية في مصر ، كان لها ثلاثة محاور أولها عدم ثبوت منسوب النيل، فقد أتفق على أن الارتفاع المثالي للنيل هو ستة عشر ذراعاً فإذا نقص كان الجفاف والجوع ، وأن زاد الارتفاع غرقت المحاصيل وذهبت الغلات ، والمحور الثاني هو السياسة المالية للدولة الفاطمية ، وما أحدثته هذه السياسة من اضطراب في التداول فقد حرص الفاطميون ، علي إبقاء الدينار المعزي الرسمي هو الأعلى قيمة ، وفرضوا الجباية بهذا الدينار ، وسببت هذه السياسة في فقر الكثير من الأهالي ، بالإضافة إلى رغبة المعز في جمع ما أنفقه في رحلته إلى مصر ، فأثقل كاهل الأهالي بالكثير من الضرائب وتشدد في جمعها ، والمحور الثالث يتمثل في انتشار الأمراض والأوبئة والتي فتكت بالآلاف من الأهالي وسببت في هجرة من نجا من هذه الأمراض .

---

(1) نفسه ، جـ 2 ، ص 169 .

(2) المصدر السابق ،جـ5 ، ص 13 وما بعدها .

(3) المقريزي ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 170 .

2 ـ رغبة الفاطميين في التخلص من قبائل بني هلال :-

شكل المجتمع المصري في العهد الفاطمي ، خليطاً من الأجناس البشرية ، شمل العديد من الطوائف البشرية ، بالإضافة إلى السكان الأصليين فهناك العبيد والأتراك الذين قامت بينهما كثير من الصدامات كما حدث في الفتنة التي قامت أيام المنتصر سنة 428هـ/1036م ، فقد كانت أم المنتصر تقف بجانب العبيد بالأموال والسلاح ، ودامت الفتنة مدة ، ووقعت أول الصدامات في مكان يعرف بشبرا دمنهور ، وقتل من الأتراك والعبيد الكثير وفسدت الأمور في مصر[1] .

شملت الاضطرابات أرجاء الدولة الفاطمية ، فقد ذكر المقريزي[2] في حديثه عن الأحداث التي دارت سنة 361هـ/971م ((دخل برؤوس من بني هلال فيه عصي أهل تنيس وغيروا الدعوة وسودوا)) .

والمتمعن في كلام المقريزي يلاحظ أن هناك ثورات قامت ضد الدولة الفاطمية ، وكان دعاة هذه الثورات من بني هلال ، ويبدو أن الدولة الفاطمية تمكنت من القضاء على هذه الثورة ، وتمكنت أيضاً من قطع رؤوس قادة هذه الثورة .

وهناك أيضاً ثورة أهل تنيس ، الذين أعلنوا عدم خضوعهم للفاطميين ومبايعتهم للدولة العباسية ، وذلك عندما اتخذوا من اللون الأسود شعاراً لهم كما فعل العباسيون[3].

لم يتحدث المقريزي عن أسباب هذه الثورات ، لكن ربما كانت الأسباب هي تشدد الفاطميين في جباية الضرائب ، وتشددهم في فرض مذهبهم وهو مذهب الشيعة الذي لم يلق القبول والتأييد لا في مصر ولا في أفريقية والمغرب من قبل .

هذا كما وقعت حروب في البحيرة ، بين السكان وبين الدولة الفاطمية ، كان نتيجة هذه الحروب طرد سكان البحيرة ، وهم بنو قرة الذين ينتمون إلى بني هلال ، فقد ذكر المقريزي[4] هذه الأحداث قائلاً "في سنة 442هـ/1050م كانت حروب البحيرة وإخراج بني قرة وإنزال بني سنبس بعدهم بها"" وكان شيخهم يدعى مختار بن

[1] ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، جـ 5 ، ص 19 .
[2] المصدر السابق ، جـ 12 ، ص 130 .
[3] المقريزي ، المصدر السابق ، ص 130 .
[4] المقريزي ، الخطط ، جـ 2 ، ص 170 .

القاسم .. "ربما تم إخراجهم إلى برقة وكان الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، قد قتل جماعة من بني قرة وأحرقهم بالنار [1] .

وعندما ظهر أبو ركوة وهو الوليد بن هشام بن عبد الملك ، وثار على الفاطميين في برقة ، كان بنو قرة أول من استجاب له وبايعوه ، كان بنو قرة في جيش أبي ركوة الذي هزم عامل برقة ، واستولوا عليها ثم بعث الحاكم جيش بقيادة علي بن فلاح لمحاربة أبي ركوة ، ووقعت معركة بين جيش الحاكم وبني قرة الذين هزموا وقتل من شيوخهم عبد العزيز بن مصعب ورافع بن طراد ومحمد بن أبي بكر [2] .

ومما سبق يستخلص أن قبائل بني هلال كانت هي وغيرها من القبائل دائمة الثورة على الفاطميين ، وتلك الثورات التي كلفت الدولة الفاطمية الكثير من الخسائر ، ولذلك لقي رأي الوزير اليازوري الموافقة والقبول ، عندما اقترح على الخليفة الفاطمي المنتصر إرسال قبائل بني هلال ومن تبعها ، إلى أفريقية رداً على قطع المعز بن باديس علاقاته مع الدولة الفاطمية ، وإعلان ولائه للدولة العباسية .

ربما كان لليازوري هدفان ، أولهما هو إبعاد هذه القبائل عن مصر ، ومحاولة علاج الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها مصر ، واستمرت لسنوات عدة ، وثانيهما العداء القائم بينه وبين المعز ، وقد أراد بإرسال هذه القبائل القضاء على ملك ابن باديس .

ج: الأسباب الدينية

1- فرض الفاطميين للمذهب الشيعي واضطهادهم للأهالي :

تمكن أبو عبد الله الشيعي من القضاء على دولة بني الأغلب ، وبدأ في فرض سيطرته على أفريقية[3] ، إذ بعث دعاته في جميع المناطق ، واستجاب له الناس طوعاً وكرهاً[4] ثم بدأ في فرض المذهب الشيعي على الناس فأمر أن تضاف في الأذان جملة (حي على خير العمل) ، بعد (حي على الصلاة) ، وأن يقتل كل

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 121 .
[2] نفسه ، ص 122 .
[3] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 98 .
- جورج مارسية ، المرجع السابق ، ص 158 .
[4] ابن خلدون المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 69 .

من يخالف هذا الأمر ، وتم اضطهاد وتعذيب وقتل كثير من الفقهاء الذين كانوا على مذهب مالك ففي سنة 297هـ/909م قتل في القيروان كل من إبراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون ، وأبوبكر بن هذيل وهما من فقهاء المالكية ، وكانت التهمة الموجهة إليهما أنهما يطعنان في الدولة ويريان أن علي بن أبي طالب واحدٌ من الصحابة وهو كعمر بن الخطاب وأبوبكر وعثمان رضي الله عنهما[1].

كما حدث سنة 307هـ/919م ، فقد قتل عروس المؤذن بالقيروان بعد أن عذب وقطع لسانه لأنه لم يقل (حي على خير العمل) وأمر بإسقاط جملة (الصلاة خير من النوم) من أذان الفجر ، كما أمر أيضاً بالصلاة على علي بن أبي طالب بعد الصلاة على الرسول ﷺ في الخطب ، وعلى فاطمة، والحسن والحسين ، ثم أمر بإسقاط صلاة القيام في شهر رمضان ، وجادل الفقهاء، قائلاً لهم:- لما تقتدون بفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصلاة الشفاع وتتركون فعل علي بن أبي طالب في زيادة جملة (حي على خير العمل) في الأذان، وأمرهم قائلاً (اعملوا بمذهب أهل البيت ، واتركوا الفضول) ، طلب من وجوه وقادة كتامة الدعوة للمذهب الشيعي وتفضيل آل على والبراءة ممن سواه ودخل في دعوته كثير من الناس[2] .

وقتل كل من أبي علي حسن بن مفرج الفقيه ، ومحمد الشذوي الزاهد سنة 309هـ/921م ، لأنهما[3] فضلا بعض الصحابة على عليّ ، وفي سنة 311هـ/923م ، تم تعذيب محمد ابن العباس الهذلي الفقيه ،لأنه كان يفتي بمذهب مالك ، ويطعن في السلطان ، وفي سنة 318هـ/930م مات هشام بن الربيع التميمي ، في المهدية وكان من أهل الخير والفضل ، ضرب وعذب من قبل عبيد الله ، وأوصى إلا يدفن في المهدية فدفن بالقيروان ، اشترط الشيعة على الفقهاء إذا أرادوا أن يؤموا الناس في الصلاة أن يغيروا مذهبهم ويفتوا ويعلموا الناس على مذهب الشيعة كما حدث مع محمد بن حفص الفهم عندما خيروه المروزي بين الدخول في مذهب الشيعة وبين ترك إمامة الصلاة فرفض الأمر وعزل من الصلاة ()، وقتل أيضاً

---

(1) نفسه ، ص 154 .

(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 152 .

(3) ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص ص 187 ، 188 ، 195 .

أحمد بن يحي بن طيب الفقيه في مدينة رقادة ، وتم تعذيب وقتل أبي الفضل محمد بن عبد السلام[1] .

ذكر أن المهدي عبيد الله عندما وصل إلى رقادة ، في صلاة الجمعة في المسجد أمر الخطيب أن يذكره في الخطبة " فيقول : عبد الله الأمام المهدي بالله أمير المؤمنين ، فلما صعد الخطيب المنبر وانتهى إلى ذكر المهدي قام أحد رجالات السنة الحضور واسمه جبلة بن حمود الصوفي قائماً وكشف رأسه حتى رآه الناس ومشى من المنبر إلى آخر الجامع وهو يقول : قطعوها قطعهم الله ويكررها" ويقصد هنا الخطبة لبني العباس ، وقام معه الفقهاء ووجوه البلد[2] .

وبعد الجمعة جاء الدعاة وتم إحضار الناس بالقوة ، ودعوهم إلى المذهب الشيعي ، من أجاب ترك ومن رفض قتل[3] .

وضع عبيد الله اسمه على المساجد والمواجل والقصور والقناطر بعد أن أمر بمسح أسماء الذين بنوها ، كما سب عبد الله أصحاب الرسول ﷺ وأزواجه ما عدا علي بن أبي طالب والمقداد وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبا ذرالغفاري، وزعم أن أصحاب الرسول ﷺ ارتدوا بعده ما عدا هؤلاء ،ومنع الفقهاء أن يفتوا بمذهب مالك ، وأمر بالإفتاء بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد[4] .

وفي عهد عبيد الله ، ادخل مسافر خيله في المسجد ، فأخبره قيم المسجد أن الخيول نجسة فأخبروه بأنها خيول المهدي وهي طاهرة ، قال لهم القائم على المسجد إن الذي يخرج من المهدي نجس وأخذوه إلى عبيد الله الذي أمر بقتله[5] .

أخذ دعاة الشيعة الناس بالعنف والشدة ، فاستجاب لهم الكثير ، أما الذين رفضوا هذا المذهب فقد ضربوا وحبسوا ، وعارضت طائفة من الفقهاء المهدي فقد ذكر أن ((رجلاً دخل على الوالي فقال له الوالي : قل لا إله إلا الله فقال : أما من

---

[1] نفسه ، جـ 1 ، ص ص 155 ، 161 ، 180 .
[2] سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص 84 .
[3] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 49 .
[4] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 159 .
[5] نفسه ، جـ 1 ، ص 284 .

قولك فلا ، إنني لا أدري ما تقول لي بعدها ، وأدخل إليه بآخر وبين يديه مصحف ، فقال له : أليس هذا هو القرآن ؟ فقال له : ما أعرف ما هو)) [1].

وقتل من الفقهاء المالكية حوالي أربعة آلاف رجل بعد أن عذبوا [2]، وأدت هذه الأعمال إلى ثورة أهالي القيروان ، وسادتها وكانوا متمسكين بمذهب مالك ، ودخلوا في مواجهات مع رجال قبيلة كتامة ، وكانت نتيجة هذه المواجهات أن أجبر المهدي على إيقاف مناداته بالمذهب الشيعي وخرج يسكن الناس[3] ، وذكر أنه عندما تولى ابنه أبا القاسم سنة 331هـ/942م ، أمر حاكم مدينة القيروان بتعليق عظام رؤوس بعض الحيوانات على أبواب الحوانيت والدور بعد أن وضعوا على هذه الرؤوس أسماء الصحابة[4].

وبعد رحيل الفاطميين إلى مصر استمر أمراء صنهاجة في الدعاء والخطبة بأسماء الفاطميين بأفريقية وهذا ما أدى إلى ترك أهالي القيروان لصلاة الجمعة لرفضهم دعوة الفاطميين فكان أحدهم إذا مر أمام المسجد قال سراً " اللهم اشهد اللهم اشهد" ويرفع ويصلي ظهراً أربعاً ، واستمر هذا الوضع وترك الناس صلاة الجمعة دهراً ، وعندما قطع المعز دعوتهم سر أهالي القيروان بذلك [5].

2 ـ ثورة أهالي المغرب على المذهب الشيعي :

كانت ردة فعل أهالي أفريقية على فرض الشيعة لمذهبهم بالقوة ، أن قامت الكثير من الثورات الرافضة لهذا المذهب ، فكانت أولى هذه الثورات ما قام به أهل سلجماسة سنة 297هـ/909م ، عندما قتلوا عامل الشيعي إبراهيم بن غالب المزاتي ومن كان معه من رجال كتامة الشيعيين ، ولم يبق عامل الشيعي بسجلماسة* سوى 50 يوماً فقط[6] .

وظهر رفض أهالي القيروان لهذا الأمر واضحاً من خلال أبيات من الشعر كتبت وأرسلت إلى عبيد الله تقول :-

---

(1) سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص 85 .

(2) سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص 85 .

(3) نفسه ، ص 85 .

(4) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 162 .

(5) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 277 .

(6) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 157 . البكري ، المصدر السابق ، ص 839 .

الجور قد رضينا   لا الكفر والحماقه
يا مدعي الغيوب   من كاتب البطاقه ؟[1]

ثار بكتامة شخص يدعى بباب ، وكان معه جموع من قبائل البربر ، فأرسل عبيد الله إلى أتباعه وأمرهم بمحاربة هذا الثائر ، فهزم وأخذ أسيراً .

كما ثار أهالي هوارة طرابلس ، ونصبوا أبا هارون الهواري[2] . في سنة 299هـ/911م ، وقتلوا الشيعة الذين كانوا هناك وتم إلغاء جملة (حي على خير العمل) وأذن في ذلك اليوم أذان أهل السنة[3] ، كما ثار أهالي تيهرت على عاملها دواس ولكنه هرب قبل أن يتمكنوا من قتله وتمكن الأهالي من قتل حوالي 1000 فارس من رجال دواس[4].

كان عبيد الله المهدي قد اتفق مع رجال كتامة ، على السماح لهم بنهب القيروان ، مقابل مساعدتهم له ، وعندما تم لعبيد الله ما أراد ، أخذ في مماطلة رجال كتامة ، لكن رجال كتامة أخذوا في التطاول على أهالي القيروان ، كما حدث من رجل من جند كتامة ، تطاول على تاجر من أهل القيروان ، وأراد نهب تجارته ، فوقعت مواجهة بين التجار وجند كتامة ، الذين قتل منهم أكثر من ألف رجل[5]، في سنة 333هـ/944م ثار أبو يزيد ودخل القيروان ودعا الناس إلى جهاد الشيعة والعودة إلى مذهب مالك فتبعه الفقهاء والتجار [6].

استمر الخلفاء الفاطميون في التشدد في مذهبهم ، ففي سنة 349هـ/960م أمر الخليفة الفاطمي أبو تميم المعز لدين الله أئمة المساجد بضرورة ذكر جملة (حي على خير العمل) وأن يقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة ، وان يكبروا على الجنائز خمساً ولا يؤخروا صلاة العصر وغيرها[7] .

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 160 .
(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 160 ، 163 .
(3) الأنصاري ، أحمد النائب ، نفحات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من الأعيان ، تحقيق علي مصطفى المصراتي ، ط1 ، المكتب التجاري ، بيروت ، 1963 ، ص 89 . .
(4) ابن عذراي ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 163 .
(5) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ص 165 ، 166 .
(6) نفسه ، جـ 1 ، ص 217 .
(7) نفسه ، جـ 1 ، ص 223 .

وفي سنة 360هـ/970م خرج الخليفة الفاطمي أبو تميم إلى مصر واستخلف على أفريقية أبا الفتوح الصنهاجي[1] وبخروج الفاطميين إلى مصر ضعف وتقلص المذهب الشيعي ولم يعد له وجود سوى في مدينة المنصورة مقر إقامة الولاة الزيريين ، أما القيروان وباقي مدن أفريقية فقد عادت إلى المذهب المالكي[2].

دخل المنصور مدينة المنصورية سنة 381هـ/991م ، ووصله خبر أن عبدٍ من عبيده سب الصحابة ، فأمر بقتله وصلب جثته وأرسل رأسه إلى مدينة القيروان[3].

إن هذه الحادثة تدل على أن أبا الفتح ، لم يكن من معتنقي المذهب الشيعي، فما قام به يدل على أنه مالكي المذهب ، وأن علاقته بالدولة الفاطمية كانت ذات طابع سياسي ، فهاجمت عليه الشيعة وأرادوا قتله ، فدافع عنه رجاله وعبيده الذين كانوا يكتمون السنة ، وتم قتل الشيعة حتى بلغ عدد من قتل أكثر من 3000 وسمي ذلك الموضع ببركة الدم [4].

وفي ولاية المعز بن باديس ، الذي كان على مذهب السنة في سنة 407هـ/1016م، ذكر ابن عذارى أنه ((كان بمدينة القيروان قوم بحومة تعرف بدرب المعلي يتسترون بمذهب الشيعة من شرار الأمة فانصرفت العامة إليهم .. فقاتلوهم خلقاً رجالاً ونساءً))[5] .

يتضح من خلال ما سبق، أن نفوذ الشيعة قد تقلص بعد أن رحل خلفاء الدولة الفاطمية إلى مصر ، وأن من بقي منهم على هذا المذهب كان يخفي ذلك ولكن لماذا ؟ ربما كان السبب أن رجال صنهاجة والذين خلفهم الفاطميين ، كانوا لا يحبذون هذا المذهب ، ولذلك لم يتشددوا في فرضه على الناس ، وبالتالي انحسر المذهب الشيعي وأصبح معتنقي هذا المذهب يعيشون في خوف من أن يكتشف أمرهم فيقتلوا ، وهذا ما حدث مع أهالي درب المعلي ، حيث بلغ عدد الذين تم قتلهم

---

[1] نفسه ، ص 328 .

[2] عبد المنعم ماجد ، الحاكم بأمر الله المفترى عليه ، جـ1 ، ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1982 ، ص 164 .

[3] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 246 .

[4] نفسه ، جـ 1 ، ص 274 .

[5] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 246 .

من الشيعة حوالي ألف وخمسمائة رجل ، وأما من بقي منهم فحاول الهروب إلى صقلية ، ولكن تم قتلهم عندما وصلوا إلى قرية كامل[1].

وذكر الدرجيني أن المعز بن باديس أرس إلى عماله على الأقاليم أوامره بقتل شيوخ الشيعة وتم قتلهم بواسطة ((عسكر ، أخرجه المعز بن باديس فقتلوا عدد من مشائخ جربة كأبي عمر وأبي صالح وأبي موسى))[2].

ودعا المعز أهل المغرب إلى التمسك بمذهب مالك ، وأظهره على المذاهب الأخرى [3].

د : هجرة بني هلال و بني سليم إلى أفريقية

1 ــ المسالك والطرق

ساءت العلاقة بين الفاطميين والصنهاجيين ، وتم قطعها من قبل المعز بن باديس سنة 440هـ/1048م [4] ، وقيل سنة 443هـ/1051م[5] ، لكن إعلان الانفصال رسمياً سبقه الكثير من الخطوات التمهيدية ، فقد ذكر ابن عذارى أن "المعز أظهر الدولة العباسية سنة 433هـ/1041م [6] . أما ابن أبي دينار يؤرخ لإظهار المعز للدولة العباسية بسنة 435هـ/1043م [7] .

ومن هنا يلاحظ أن المعز بن باديس كان يخطط من قبل هذا التاريخ للانفصال المذهبي ، قبل أن ينفصل سياسياً عن الفاطميين ، فإظهار المعز الولاء للدولة العباسية يعني عودته إلى السنة وإلى مذهب مالك ، وعندما تأكد من عودة هذا المذهب إلى أفريقية ، سارع إلى الإعلان عن الانفصال السياسي عن الدولة الفاطمية .

كان رد فعل الفاطميين على هذه الخطوة إرسالهم لقبائل بني هلال وبني سليم إلى أفريقية لمحاربة الصنهاجيين ، وكان للوزير اليازوري دوراً مهماً في هذه العملية

---

(1) نفسه ، جـ 1 ، ص ص 268 -269ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 7 ، ص 295 .

(2) طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق : إبراهيم طلاي ، جـ 2 ، د.ط ، ص 365 .

(3) ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 321 . ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 103 .

(4) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 277 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 8 ، ص 85 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 131 .

(5) ابن تعزي بردي ، المصدر السابق ، جـ 5 ، ص 50 . المقريزي ، المصدر السابق ،

(6) المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 275 .

(7) المصدر السابق ، ص 105 .

فهو من أقنع الخليفة الفاطمي بهذا الأمر ، ولعل أحد الأسباب التي أدت إلى ذلك هو أن المعز كان يحط من قدره في المكاتبات الرسمية التي تمت بين الدولتين .

قام الوزير بتكليف أمير أمراء الدولة أبا علي الحسن بن علي بن ملهم العقيلي ، وإرساله إلى قبائل بني هلال التي كانت تضم أحياء (رغبة ورياح والأثبج وعدي) وجشم وربيعة سنة 441هـ/1049م ، ومعه هدايا وخلع وأنعام كثيرة ، وأن يصلح بين هذه القبائل ، ويوقف النزاع الذي كان قائماً بينهم ، ويدفع ديات القتلى لكلا الطرفين [1]، وعندما تم ذلك سمح لهم بعبور النيل ، وكان لا يسمح لهم بذلك من قبل ، وأعطى لكل فرد منهم دينار وبعير [2] ، وقال ابن أبي دينار أنه أعانهم بالمال[3]، فعبر منهم عدد كبير ، وخطب فيهم اليازوري قائلاً : " قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بكلين الصنهاجي العبد الآبق* فلا تفتقرون" ، ثم كتب إلى المعز : "أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولاً وحملنا عليها رجالاً فحولاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً"[4].

بدأت رحلة سير هذه القبائل ولا ندري بالتحديد كم كان عدد أفراد هذه الجماعة المهاجرة ؟ فقد ذكر ابن عذارى أن العدد كان 7500 فارسا [5]. أما ابن خلدون فيقول كان العرب في 3000 [6] .

ولذا قد يكون عدد أفراد هذه الرحلة أكبر بكثير من هذه الأرقام ، وقد وصلت هذه القبائل إلى برقة فوجدوها خالية من السكان إلا أنها كثيرة المرعى[7] ، لأن المعز كان قد أباد معظم سكانها من زناتة ، فنزل العرب برقة ولم يهتم المعز لأمرهم[8] ، وبقوا ببرقة فترة من الزمن[9] ثم أرسل عرب برقة إلى إخوانهم بشرقي النيل يرغبونهم

---

(1) المقريزي ،المصدر السابق ، ص 223 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 131 .

(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 288 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 31 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ص 566 .

(3) ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 105 .

* الآبق : أبق يأبق وبائق وإباقاً فهو آبق : استخفى ثم ذهب ، لسان العرب ، مادة آبق .

(4) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 131 ، جـ 6 ، 31 .

(5) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 293 .

(6) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 131 .

(7) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ص 267 .

(8) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، 131 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ص 567 .

(9) ابن عذارى المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 288 .

في البلاد فأجازوا إليهم بعد أن أخذ منهم الخليفة أضعاف ما أعطاه لبني عمهم[1]، وأخذ على كل رأس دينارين[2] ، واستقر بنو سليم ببرقة[3] .

ومما سبق يتبين لنا أن هذه الهجرة كانت على مراحل ، خرج في الأول بنو هلال ثم لحق بهم أبناء عمومتهم بنو سليم .

وقد رافق الحسن بن علي بن ملهم العقيلي ، هذه القبائل في مسيرتها إلى برقة وظل معهم حتى أوصلهم أفريقية ، ومحاصرتهم المعز وانتصارهم عليه ، فعاد إلى القاهرة ومعه الغنائم والأسلاب ومعه بعض أمراء أفريقية المستأمنين[4] .

بقي بنو سليم ببرقة وواصل بنو هلال مسيرتهم إلى أفريقية ، فوصلوا إلى طرابلس سنة 446هـ/1054م وامتلكوها ، وبقي بنو زغبة في طرابلس ، أما رياح والأثبج وبنو عدي فقد واصلوا مسيرتهم إلى أفريقية[5] .

قبل أن نتحدث عن دخول بني هلال إلى أفريقية يجب أن نعرف كيف كانت الأوضاع في أفريقية قبل دخولهم إليها ؟

عندما بنى المنصور مدينته التي سماها المنصورية وسكنها ، أثر ذلك على المهدية فقد ذكر ابن عذارى أنه "خلت أكثر أرباض المهدية وتهدمت" ، ثم أمر المنصور بنقل سوق القيروان إلى المنصورية[6] . وتم في سنة 405هـ/1014م نقل التجار الصنهاجيين من القيروان إلى المنصورية ، تبع ذلك إغلاق المحلات والفنادق بها ، ولم يبق بها ألا عدد قليل من الحوانيت ، وأدى هذا الأمر إلى ارتفاع إيجارات المحلات بالمنصورية ، وتحدث ابن عذارى عن هذا الموضوع قائلاً "فكان ذلك أول أسباب خرابها[7]" يقصد القيروان .

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 31 .
[2] ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 106 .
[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 31 .
[4] عبد المنعم ماجد ، السجلات المستنصرية ، د.ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 44 . محمد حمدي المنادي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، ص 190 .
[5] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 131 . جـ 6 ، ص 31 .
[6] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 219 .
[7] نفسه ، جـ 1 ، ص 261 .

تحدث ابن حوقل عن مدينة المهدية التي زارها سنة 436هـ/1044م ، فقال "قد اختلت أحوالها وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها ، وكان أول نحس أضلها أبو يزيد مخلد بن كيداد ، وانثالت المناحس عليها إلى الآن " .

مما سبق يلاحظ بأن المهدية قد بدا عليها الوهن والضعف ، قبل دخول قبائل بني هلال إلى أفريقية[1].

كذلك وقعت الكثير من المعارك بين أهالي القيروان والشيعة ، فقد هاجم الأهالي الشيعة ودخلوا المنصورية وهدموها ، كذلك هاجمت زناتة القيروان ، فخرج المعز إليهم وهزمهم وقتل الكثير منهم ، تجدد القتال بين زناته وصنهاجة وهزم المعز وجنوده ، وحاولت زناتة دخول القيروان ، فهزمهم المعز وقتل خلقاً كثيراً كما هزمت جيوشه كلاً من لواتة وأهالي الزاب وقتلت أعداداً هائلة منهم.

وقعت هذه الأحداث في فترات زمنية متقاربة فيما بين سنوات 406 هـ و 420هـ/1029م و 427هـ/1035م و 428هـ/1036م و 429هـ/1037م و 437هـ/1045م، ولاشك بان هذه المعارك تسببت في موت الآلاف من السكان بالإضافة إلى التدمير والنهب .

أما في سنة 441هـ/1049م ، قبل دخول قبائل بني هلال إلى أفريقية بقليل ، أمر المعز بتغيير العملة وإلغاء التعامل بالنقود الفاطمية ، وعمل على سك عملة جديدة، ونودي بين الناس بأنه سيعاقب كل من يتعامل بعملة الفاطميين ، ونتج عن ذلك ارتفاع الأسعار بالقيروان ، وتأثر من ذلك الفقراء والضعفاء ، وذلك بسبب الفرق الكبير بين قيمة العملة القديمة وهي الفاطمية فقد كانت تساوي 4 دنانير ودرهمين ، والعملة الجديدة والتي كانت تساوي 35 درهماً[2].

أمر المعز ابن باديس بقتل الفقيه أبي عبد الله بن الصمد ، الذي خرج من القيروان يريد مصر ، لكنه قتل في الطريق وقد كان رجلاً واعظاً واجتمع إليه بعض الفقراء وكان المعز يحذره ، وعندما علم أبوه بقتله ، حج في هذه السنة وكان يطوف بالكعبة ويصيح "يا رب المعز عليك به ، يا رب علي بابن باديس" وكان هذا الرجل

---

[1] ابن حوقل ، النصيبي ، صورة الأرض ، د.ط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص 73 .

[2] ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 279 . محمد الشريف ، "الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة" ، ندوة التحركات البشرية والهجرات اليمنية ، ط2 ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، 2007 ، ص 413

مستجاب الدعوة ، وذكر ابن عذارى بأن دعاء الشيخ كان سبب هزيمة المعز وسبب خراب ملكه ودمار القيروان حضرته*"[1] .

ومن خلال ما ذكر يتضح بأن أفريقية كانت منهكة اقتصادياً بسبب سياسة المعز المالية ، وبشرياً لكثرة الحروب والقتل في الفترة السابقة لدخول بنو هلال أفريقية وكانت القيروان شبه خالية بعد نقل محلاتها إلى المنصورية ، كما أن المنصورية هي أيضاً تعرضت للهدم من قبل أهالي القيروان ، الذين هاجموا الشيعة بها[2].

ولا ننسى أيضاً تناقص عدد السكان بسبب الحروب المستمرة ، ابتداء من ظهور عبد الله الشيعي ، وسيطرته على المغرب بأكمله ، ثم هناك الثورات الرافضة للفاطميين ، وكان أخطرها ثورة أبو يزيد مخلد ، التي استنزفت الكثير من الأموال والأرواح فقد بلغ عدد الذين قتلوا في هذه الثورة وحدها قرابة الأربعة وعشرين[3] ألفاً.

ولا شك أن مثل هذه الثورات كلفت الكثير من الخسائر المادية والبشرية وأضرت بالبلاد ، فقد ذكر ابن خلدون في حديثة عن ثورة أبي يزيد أن " خرب عمران أفريقية من سائر الضواحي" كثر عبث البربر في أمصار أفريقية وضواحيها"[4] .

2 - وصول بني هلال إلى أفريقية

وصلت بعض أحياء بني هلال وهي رياح والأثبج وبنو عدي إلى أفريقية ، وتوجه أمرائهم لمقابلة المعز بن باديس[5] ، وهم الأمير أبوزيد الهلالي ويونس ويحي ومرعي[6] ، الأمير مؤنس بن يحي الرياحي من بني مرداس ، وكان سيداً في قومه ، وشجاعاً عاقلاً ، فقرب إليه مؤنس الرياحي ، وزوجه أحدى بناته وسكن في القيروان أعواماً[7] ، أراد أن يستعين به وبقومه على أبناء عمه صنهاجة، لأنه كان كارهاً لهم

---

* حضرة : المدن والقرى والريف ، لسان العرب ، مادة حضرة . والمقصود هنا مدينة القيروان .

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 280 .

(2) نفسه ، ص 286 .

(3) ابن خلدون المصدر السابق ، جـ 4 ، ص ص 86 ، 91 – 92 .

(4) نفســه ، جـ 4 ، ص ص 87-88 .

(5) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 288 . ابن الأثير المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 567 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 131 .

(6) عمر أبو النصر ، تغريبه بني هلال ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، ص 20 .

(7) ابن الأبار ، أعتاب الكتاب ، تحقيق : صالح الاشتر ، د.ط ، 1961 ، ص 200 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 31 .

، أشار مؤنس على المعز بعدم الاستعانة ببني عمه، لكن المعز ألح عليه ، فخرج مؤنس إلى قومه ، وبعدما حذر السلطان منهم[1].

قبل أن تصل جموع بني هلال إلى أفريقية ، سبقهم إليها مؤنس الرياحي وبقي بها أعواماً كما ذكر ابن الآبار[2]، وربما تكون هذه الهجرة في سنة 440هـ/1048م، وان مؤنس الرياحي سبقهم إلى أفريقية ، وبقي هناك وتزوج وأقام بها أعواماً، أما باقي بني هلال وصلوا إلى طرابلس واستقروا بها، وربما لم يفكرون في مواصلة سيرهم إلى أفريقية، لولا استدعاء المعز لهم وإلحاحه على مؤنس الرياحي ليحضرهم إلى أفريقية، لأنه أراد الاستعانة بهم وأن يتخذهم جنوداً له، بسبب خلافاته مع أبناء عمومته صنهاجة، وربما يكون هناك سبب أخر وهو كثرة الحروب والثورات التي وقعت في أفريقية وسببت في موت ألاف من الرجال والنساء وبالتالي خلقت مشكلة نقص في عدد السكان عامة والرجال المقاتلين خاصة .

خرج مؤنس الرياحي من القيروان ، لكي يحضر أبناء عمه الذين أصر المعز على قدومهم إليه ، وفي الطريق إلى القيروان مروا على قرية فنهبوها ظناً منهم أنها القيروان ، وعندما سمع المعز بهذا الخبر ، أساء الظن بمؤنس ، اعتقد أنه كان وراء هذا العمل ، لذلك سارع إلى ألقاء القبض على أخ مؤنس وأولاده ، وختم على داره ، غضب مؤنس لدى سماع هذا الخبر ، وما حل بأهله ، وقال ((قدمت النصيحة ! فحاق الأمر بي ، ونسبت الخطيئة إلي)) ، ونزل بنو هلال بمكان صار يعرف بقرية بني هلال [3] ، وفد الكثير من أمراء بني هلال مع مؤنس منهم فارس بن أبي الغيث ، وأخاه عائذ والفضل بن أبي علي المرادي الذين صاهروا المعز بن باديس ، وحسن بن سرحان وأخوه بدر، وفضل بن ناهض ، وماضي بن مقرب وسلامة بن رزق وذياب بن غانم وزيد بن زيدان ، ومليحان بن عباس وزيد العجاج بن فاضل ، ويذكر ابن خلدون ((زياد بن عامر كان رائدهم في دخول أفريقية ويسمونه لذلك أبا مخيبر))[4] .

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 288 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ6، ص 31

(2) المصدر السابق ، ص200 .

(3) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 289 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 32 .

(4) نفســه ، جـ6 ، ص 36 .

ولا ندري هل كلن زياد هذا مع مؤنس بن رياح الذي خرج من القيروان لكي يحضر أبناء عمه إلى المعز ، أم أن زياد هو الذي دخل ببني هلال إلى أفريقية بعد أن أخبرهم مؤنس بن رياح برغبة المعز بن باديس في حضورهم إليه.

3 ـ الصدام بين بني هلال والمعز بن باديس :

أ. موقعة العين :

بدأت المعارك بين قبائل بني هلال والمعز بن باديس ، وكانت أولى هذه المعارك بين جيش المعز بقيادة ابن سليون وزكفون بن وإعلان وزيري الصنهاجي ، وتقابل الهلاليون وجيش المعز بن باديس في منطقة جبلية وعرة ، تمكن بنو هلال فيها من هزيمة جيش المعز وقتل الكثير منهم [1].

وصلت أنباء الهزيمة إلى المعز بن باديس الذي قرر الخروج بنفسه لمواجهة قبائل بني هلال ، حيث جمع المعز حوالي 30000 من صنهاجة ، ومن العبيد ، وكان عدد فرسان بني هلال 3000 فقط[2] ، تمكنوا من هزيمة المعز وجيشه ، وذكر ابن الأثير أن هذه المعركة عرفت باسم موقعة العين ، وعلل هذا الاسم بان جنود المعز كانوا يرتدون الكرغندات وهي عبارة عن سترات مبطنة تشبه الدروع ، ويضعون على رؤوسهم المغافر وهي الخوذات والأردية ، ولم يكن أمام فرسان بني هلال مجال إلا بضربهم في أعينهم[3] .

عندما بدأت المعركة ، انسحبت صنهاجة والعرب الذين كانوا مع ابن باديس ، ولم يبق معه سوى عبيده ، الذين قتل منهم عدد كثير ، وغنمت قبائل بني هلال الذهب والفضة والأمتعة وغيرها ، كما أخذوا الكثير من الصنهاجيين أسرى[4] .

لقد تغنى شعراء بنو هلال بهذا الانتصار وظهر واضحاً على قصيدة علي بن رزق الهلالي والتي منها

لقد زار وهناً من أميم خيالُ   وأبدا المطايا بالذميل عجالُ

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 292 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 132 . الزهري ، المصدر السابق ، ص 112 .

(2) عبد المنعم ماجد ، الأمام المنتصر بالله الفاطمي ، د.ط ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1961ف ، ص 138 .

(3) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ص 568 .

- Michelin (G), Les Beni Hilal Dansl'oeuvre dekateb yacine, hammamet, Tunisie, Juin, 1980 . p 23 .

(4) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 290 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 32 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ص 568 .

* لم يذكر ابن عذارى البيت الثاني .

وان ابن باديس لأفضل مالكً   لعمري ولكن ما لديه رجالُ*

ثلاثون ألفاً منكم هزمتهم   ثلاث آلاف أن ذا لنكال

2. موقعة حيدران 444 هـ/1052م :

قرر المعز بعد هزيمته في موقعة العين ، أن يهاجم بني هلال ليثأر لهزيمته ، فجمع جيشاً بلغ عدده سبعة وعشرين ألف فارساً ، توجه لمهاجمة بني هلال وهم في صلاة العيد ، وقد وقعت المعركة بالقرب من جبل يعرف بجبل حيدران* ، ومنه أخذت المعركة أسمها ، وتمكن بنو هلال من هزيمة المعز وجيشه للمرة الثانية ، تم تجدد القتال مرة بعد مرة وكان جيش بني هلال يبلغ سبعة آلاف فارس، استطاعوا هزيمة صنهاجة وزناتة وقائدهم المعز وبلغ عدد قتلى صنهاجة في هذه الموقعة ثلاثة آلاف وثلاثمائة ، بعد هذا الانتصار واصل بنو هلال زحفهم إلى القيروان ، حيث نزلوا بمصلى القيروان ووقعت معركة بين بني هلال وأهالي رقادة والمنصورية ، قتل فيها خلق كثير[1] .

وحاصر العرب القيروان ، وكثر الفساد ولكن لم يكن للعرب وحدهم هم سبب هذا الفساد فقد ذكر ابن خلدون[2] عند حديثة عن حصار القيروان بأنه ((هلكت الضواحي والقرى بإفساد العرب وعيثهم ، وانتقام السلطان منهم بانتمائهم في ولاية العرب)).

فالسلطان المعز باديس شارك في هذا الفساد ، من خلال انتقامه من الذين أطاعوا العرب ، فربما قام بهدم بيوتهم وتعذيبهم أن لم يقم بقتلهم .

جـ - دخول بني هلال القيروان : (موقعة باب تونس) سنة 444 هـ /1052م :

كانت لانتصار الهلاليين في معركة حيدران عدة نتائج ، فبالإضافة إلى الغنائم الكثيرة التي تحصلوا عليها ، سهل لهم هذا الانتصار دخول القيروان ، وعندما اقترب بنو هلال من القيروان ، شاع الذعر والخوف بين أهلها ، فأمر المعز كافة الناس باقتلاع جميع المزروعات المحيطة بالقيروان وصبرة ، كما أمر أيضاً بنقل الصنهاجين والعسكر من القيروان إلى صبرة ، ونقل عامة الناس وأهل السوق إلى

---

* حيدران : جبل بينه وبين قيروان ثلاثة أيام - ذكره ابن الأثير باسم جندران .

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 293 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ص 569 .

(2) المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 33 .

القيروان ، وقد تسبب هذا الأمر في أحداث الفوضى والدمار في المدينتين ، وسارع العبيد ورجال صنهاجة إلى اقتلاع خشب الحوانيت وتخريب العمارة [1].

مما سبق يلاحظ أن خراب القيروان وصبرة كان من أهلها وبأمر من سلطانها المعز بن باديس ، ولم يكن من بني هلال لأنه في والوقت الذي أصدر فيه المعز أوامره هذه كان بنو هلال على بعد ثلاثة أميال من القيروان ، كما أن المعز ترك القيروان ، وذهب مع جنوده ورجاله من صنهاجة إلى صبرة .

فقد ذكر ابن عذارى[2] أن ((السلطان أمر ألا يخرج العسكر عن سور صبرة))[3] ، وبالقرب من القيروان نزل بنو هلال ، ثم قرروا دخول القيروان من أحد أبوابها ، وهو باب تونس ، فهجم عليهم العامة ، ووقعت معركة كان نتيجتها انتصار بنو هلال ، يصور ابن عذارى هذه الموقعة تصويراً مأساوياً ، يذكر أن بني هلال ((دخلوا المدينة ولم يبق منهم إلا من حصنه أجله ، ثم يتحدث أنه خرج أهل القتلى عند انصراف العرب فرفعوا قتلاهم))[4] .

يلاحظ أن المعز كان قد اتخذ عدة أوامر ، منها أخلاء القيروان من الجند ونقلهم إلى صبرة ، والتي ربما كانت هي مقر إقامته وقيادته ، ولذلك لم يهتم لأمر القيروان ، كما أن بني هلال دخلوا المدينة ففوجئوا بهجوم العامة عليهم ، فكان لهم أن يردوا على هذا الهجوم ، وذكر ابن عذارى[5] أن العرب انصرفوا من المدينة ، وهذا يدل على أن بني هلال لم يستقروا بها ، وأن ما وقع كان رداً على هجوم سابق.

ذكر ابن عذاري [6]في حديث عن هزيمة صنهاجة ، ودخول بني هلال إلى القيروان ، في سنة 444هـ/1052م إن ((المعز بنى سور القيروان)) ، فابن عذاري هنا يربط بين دخول بني هلال إلى القيروان وبين بناء سورها ، ليشير أن السور تهدم

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 291 .
(2) نفسه ، جـ 1 ، ص 291 .
(3) نفسه ، جـ 1 ، ص 291 .
(4) نفسه ، جـ 1 ، ص 291 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ص 569 .
* ذكر ابن خلدون أن العرب امتلكوها سنة 445 هـ .
(5) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 291 .
(6) نفسه ، ص 293 .

بسبب هجوم بني هلال على المدينة ، لكن ابو عبيد البكري[1] عند حديثه عن مدينة القيروان يذكر ان ((للقيروان في القديم سور طوب ...... بناه محمد بن الاشعت ابن عقبة الخزاعي سنة 144هـ/761م ...... فهدم هذا السور زيادة الله بن إبراهيم المعروف بالكبير سنة 209هـ/824م)) ، وذكر ابو عبيد البكري ان سبب هدم سور القيروان هو ، ((نصرة أهل القيروان للمنصور الطنبدي، الذي ثار عليه)) ، وظل سور المدينة كما هو، حتى قرر المعز بن باديس بنائه مرة أخرى سنة 444هـ/1052م وهي السنة لتي دخل فيها بني هلال إلى إفريقية ، ومن هنا نلاحظ أن لا ذنب لبني هلال في هدم هذا السور .

ثم حاصر العرب مدينة القيروان سنة 446هـ/1054م* ، وصار لبني هلال من تونس إلى المغرب ، فملك عائذ بن أبي الغيث مدينة تونس ، وغزا زناتة ومغواره وأبو مسعود ملك بونة صلحاً ، وكانت الرياسة في بني هلال والأثبج [2].

تحدث ابن خلدون[3] عن دخول بني هلال القيروان ثم المهدية قائلاً ((جاء العرب فدخلوا البلد (القيروان) واستباحوه ، واكتسحوا المكاسب وخربوا المباني وعاثوا في محاسنها ، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها ، واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها ، وشملوا بالعيث والنهب سائر من فيها ، وتفرق أهلها في الأقطار ، فعظمت الرزية وانتشر الداء وأعضل الخطب))[4] .

هذا جزء مما ذكره ابن خلدون[5] عن الأضرار التي ألحقها بنو هلال بمدن أفريقية كالقيروان والمهدية ، ولكن ابن خلدون ذكر في مقدمته أن العرب الذي يعيشون حياة التقشف والقلة ، بسبب ندرة الأمطار ، كما هو حال أهل الحجاز والملثمين من صنهاجة من أهالي المغرب ، والذين يتغذون على الألبان واللحوم، على عكس سكان الأقاليم الخصبة ، الذين يعيشون في رغد العيش ، تحدث قائلاً ((وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم ، من أهل القفار أحسن حالاً في جسومهم وأخلاقهم ، من أهل التلول المنغمسين في العيش ، فألوانهم أصفى ،

---

(1) المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 676 .
(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 36 .
(3) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 34 .
(4) نفسه ، جـ 6 ، ص 34 .
(5) نفسه ، جـ 6 ، ص 34 .

وأبدانهم أنقى ، وأشكالهم أتم وأحسن ، وأخلاقهم أبعد من الانحراف ، وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات))[1] .

فابن خلدون يناقض نفسه فهو من جهة يحمل بني هلال مسئولية الدمار والخراب ، الذي لحق بأفريقية متجاهلاً العوامل الأخرى التي سببت أو كانت سبباً في هذا الخراب ، أو في جزء منه ، ومن جهة أخرى يذكر أن كل من يعيش في الصحاري تكون أخلاقه أبعد من الانحراف ، ولا ننسى أن بنو هلال كانوا رعاة وفلاحين وبالتالي فهم يحافظون على الزرع لأنهم يقتاتون منه ، ولأنه يمثل المرعى لحيواناتهم .

وتحدث ابن خلدون ، عن بني هلال وذكر أن الخراب قد عم جميع أفريقية بسببهم[2].

كما تحدث ابن عذاري[3] عن إحداث سنة 449هـ/1057م ، وذكر أن المعز خرج من المنصورية إلى المهدية ، ((وانتهبت العرب مدينة القيروان وخربتها .... وانتهى ما ذبح بها من البقر خاصة في اليوم الواحد 700 رأس و 500 رأساً))

لكن أبو عبيد البكري[4] يذكر هذه الحادثة ، دون أن يشير إلى أن بني هلال كانوا وراء هذا العمل ، فهو يقول ((وأحصى ما ذبح بالقيروان في بعض أيام عاشورا من البقر خاصة ، فانتهى 950 رأساً))

وهذا القول يدل على أن أهل القيروان ، ذبحوا هذه الأعداد الكبيرة من البقر للاحتفال بعاشورا ، فربما كان من سنن أهل المدينة ذبح البقر في هذه المناسبة .

لكن هناك الكثير من الأماكن لم يكن ما لحق بها من خراب سببه بنو هلال فمثلاً قابس لم يتعرض الهلاليون لغابتها ، إنما تم حرق هذه الغابة وإسنادها عن طريق تميم بن المعز لدين الله الصنهاجي سنة 474هـ/1082م ، فقد تحدث المرزوقي قائلاً ((إذا نجت غابة قابس من إفساد الهلاليين فأنها لم تنج من التخريب الكامل من طرف غزاة آخرين جاءوا لقابس بعد ذلك))[5] .

---

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق : حامد أحمد الطاهر ، ط1 ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، 2004 ، ص 120 .
[2] ابن خلدون ، العبر ، جـ 6 ، ص 43 .
[3] المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 294 .
[4] المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 678 .
[5] قابس جنة الدنيا ، د.ط ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ص 42 .

وذكر ابن الأثير[1] في حوادث سنة 474هـ/1082م ، ((أن تميم المعز الصنهاجي صاحب المهدية قد حاصر قابس وأفسد جنده غابتها)) ، كذلك أحرق تميم بن المعز مدينة صفاقس فقد ((أمر جيشه سنة 493هـ/1101م بهجوم ما حول المدينة وحرقه)) .

وساعد وجود بني هلال في صفاقس ، على هجرة يهود صفاقس إلى مصر حيث كانت تربطهم علاقات تجارية مع مصر ، كان التجار اليهود يتعاملون بالرباء فكان وجود بني هلال ، قد قضى على هذه التجارة الربوية وبالتالي سيطر التجار الصفاقسيين على التجارة مع مصر ، كما استمرت القوافل التجارية تنطلق من صفاقس إلى الواحات حتى بعد وجود بني هلال[2] .

تناول الكثير من المؤرخين المستشرقين ، هجرة بني هلال إلى أفريقية وذكر بونسي[3] في أحد مقالاته ، التي تحدث فيها عن بني هلال ، أن ابن خلدون كتب هذه الأحداث بعد مرور أكثر من قرنين من الزمن ، ولا شك أن هذه الفترة الزمنية وقعت فيها الكثير من الأحداث ، بعد دخول بني هلال إلى أفريقية .

وأيد كلود كاهين[4] ما ذكره بونسي ، وأوضح أن دمار أفريقية ، بدأ قبل قدوم بني هلال إلى أفريقية .

---

[1] المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 449 .

[2] علي الزواري ، صفاقس ، طـ 2 ، دار الجنوب ، تونس ، 1980 ، ص ص 10 ، 18 .
ـ أمين الطيبي ، " جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب" ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة السادسة ، العدد 2 ، يوليه ، 1984 ، ص 445 .

[3] Poncet(J), "prosperite Et De'cadense Ifrikiyenne" ct , Tome 9-10 , 1961 , p 232.

[4] Cahen (C),"Quelques Mots Sur Les Hilaliens Et Le Nomadisme" Journal of the Econoic and Social History of Orient, vol 9, 1968, p 130

الفصل الثالث

جهاد بني هلال في أفريقية والأندلس

أ: جهاد بني هلال في أفريقية

1 . الدفاع عن المهدية وطرابلس .

2 . معركة حصن الديماس .

ب : استعانة الموحدين ببني هلال في إفريقية

1 . العلاقة بين الموحدين وبني هلال في عهد عبد المؤمن بن علي

2 . العلاقة بين الموحدين وبني هلال في عهد يوسف بن عبد المؤمن

ج : جهاد بني هلال في الأندلس

1 . دورهم في معركة فحص الجلاب .

2 . دورهم في معركة شنترين .

3 . دورهم في معركة حصن الأرك .

أ : جهاد بني هلال في أفريقية

1ـ الدفاع عن المهدية وطرابلس:

وصلت ثلاثمائة مركب الروم إلى المهدية سنة 480هـ/1087م ، وكان على متنها ثلاثون ألف مقاتل ، تمكنوا من دخول المهدية ، لخلوها من العسكر والأسلحة ، بالإضافة إلى ضعف التحصينات بها ، حيث كان بها الكثير من الأسوار المهدمة ، والسبب الأهم وهو أن تميم كذب خبر نزولهم بالمهدية ، ولم يسمح واليه على المهدية لعبد الله بن منكور قائد الأسطول بالخروج فهاجمتهم في البحر ، ومنعهم من دخول المدينة ، هذه الأسباب مجتمعة شكلت الدافع القوي لسهولة دخول الروم إلى المدينة .

وقد ذكر الشاعر أبو الحسن الحداد سيطرة الروم على المهدية في قصيدة قال فيها:-

أنا يلم الخيال أو يقف   وبين أجفاننا ثوى الدنف

غزا حمانا العدا في عدد   حما الدما الكثرة العنف

عشرون ألفا ونصفها ائتلفوا   من كل أوب وليت ما ائتلفوا

حازوا على غرة إلى نفر   قد جهلوا في الحروب ما عرفوا[1]

تناول الكثير من المؤرخين[2] هذا الموضوع دون ذكر لدور العرب الهلالية في الدفاع عن المهدية ، لكن هناك مصدراً أجنبياً نقلاً عن أمين الطيبي تحدث عن شجاعة وبسالة الهلاليين وأساليبهم المتنوعة في القتال والتي منها أسلوب الكر والفر ، فقد ذكر أن الهلاليين هاجموا الروم بعد دخولهم المدينة وانشغالهم بالغنائم، وتمكن هؤلاء الفرسان من هزيمة الروم الذين كانوا بالمرسى ، وفيما يلي نورد القصيدة المترجمة باسم نصر البيزين :-

بينما كان (الروم) ينظرون إلى وفرة الغنائم

إذ بالقبائل العربية تدخل زويلة

ويحارب فرسانهم بسرعة تفوق سرعة الريح الشرقية

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 301 .

ـ التيجاني ، الرحلة ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، د.ط ، المطبعة الرسمية ، تونس ، 1958 ، ص 332 .

(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 301 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 525 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 328 .

كانوا مهرة محنكين في النظر إلى الوراء أثناء فرهم

وهم أثناء فرهم أسرع في قتل أعدائهم

أنهم أسرع من كافة البشر في الالتفاف في دوائر

ممتطين خيولاً ضامرة يوجهونها بأجسامهم

أحتل مائة ألف من هؤلاء البواسل زويلة

المدينة التي أخلاها البيزيظون

وتدفعه هؤلاء العرب نحو الساحل وملأوا الشاطئ

وأوقعوا هزيمة ببقية البيزيين الذين كانوا يحرسون المرسى[1] .

كان للعرب الهلاليين دور كبير في الدفاع عن المهدية سنة 494هـ/1100م، عندما تعرضت لهجوم الروم الذين قدموا إليها في 23 سفينة حربية ، وقد حالت مساعدة القبائل الهلالية لتميم دون السيطرة على المدينة ، كما هاجم الروم طرابلس في سنة 537هـ/1142م ، واشتبكوا مع الأهالي وبعض شيوخ العرب ، وفي اليوم التالي جاءت جماعة من العرب لمساعدة أهل طرابلس وتجدد القتال بين الطرفين ، وانتصر العرب وقتل من الروم خلق كثير وغنم العرب الأسلحة والدواب ، ورجع الروم إلى بلادهم خائبين[2] .

وبعد مرور قرابة 4 سنوات ، أي في سنة 541هـ/1146م ، عاد الروم مرة أخرى لاحتلال طرابلس ، ووقعت معارك قوية بين الطرفين ، استمرت 3 أيام ، ولكنهم سيطروا على المدينة بسبب خلاف دب بين أهلها وكان هذا الخلاف هو السبب في سيطرة الروم على المدينة وأقاموا بها مدة ستة أشهر ، ثم عينوا رجلاً من بني مطروح عليها وتركوها [3].

حدث في سنة 541هـ/1146م غلاء شديد في أفريقية ، ودام مدة 5 سنوات ، ونتيجة هذه الشدة ترك أهل أفريقية أراضيهم ، ودخلوا صقلية ، فاستغل الملك روجار هذه المحنة ، وأرسل أسطوله المكون من 250 مركباً محملاً بالجند والأسلحة بقيادة

---

(1) أمين الطيبي ، " بنو هلال ودورهم في الجهاد في المغرب والأندلس " ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، 1985 ، ص 100 .

(2) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 92 .

(3) نفســه ، ص 109 .

القائد جرجي الأنطاكي ، فقرر الحسن بن علي بن يحي صاحب أفريقية ، ترك المهدية وذلك لضعف القوة العسكرية بالإضافة إلى قلة المؤن ، فخرج ومعه أهل المهدية ، وتوجه بأهله وأولاده إلى الأمير محرز بن زياد أحد أمراء العرب ، الذي استقبله استقبالاً عظيماً وأقام عنده [1].

ومما سبق يلاحظ أن الهلاليين ، وقفوا في وجه الروم عند هجومهم على المهدية ، والتي تعرضت للغزو ثلاث مرات الأولى سنة 480هـ/1087م ، دخل الروم المدينة ، بعد أن التحموا بالمقاتلين من بني هلال ، والذين دافعوا بكل قوة وشجاعة عن المدنية لكن الكثرة تغلب الشجاعة[2] .

أما الهجوم الثاني فقد كان سنة 494هـ/1100م ، ولم يتمكن الروم فيه من دخول المدينة ، لوقوف بني هلال مع تميم بن المعز ، ودفاعهم عن المدينة .

والهجوم الثالث على المهدية كان سنة 541هـ/1146م ، ولم يدافع صاحب المهدية الحسن بن يحي عن مدينته ، فسقطت في أيدي الروم ، وخرج الحسن ابن يحى من المهدية ، وترتب على سقوط المهدية ، إرسال الروم أسطولاً إلى صفاقس سنة 543هـ/1148م وقف أهلي لمواجهة العدد ، بعد أن أتاهم الكثير من العرب لمساعدتهم في رد هجوم الروم ، وهاجم الروم أيضاً قلعة اقليبية ، لكن العرب قاتلوهم وهزموهم فرجعوا إلى المهدية خائبين[3] .

2 ـــ معركة حصن الديماس :-

وفي عهد الأمير الحسن بن علي ، الذي تولى بعد وفاة أبيه سنة 515هـ/1126م وقد ورث الإمارة ومعها الكثير من المشاكل ، والتي منها العداء بين الإمارة الزيرية وبين روجار ملك صقلية ، كان الأمير الحسن يتوقع هجوم روجار على المهدية ، فأمر بتجديد الأسوار وجمع المقاتلين ، واستقدام العرب اجتمع له مائة ألف رجل وعشرة ألاف من الخيل ، تحرك أسطول روجار المكون من ثلاثمائة قطعة متوجهاً إلى المهدية سنة 517هـ/1123م ، لكن الرياح أعاقت مسيرته ، فوصل إلى

---

(1) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : محمد عبد اللطيف ، ط1 ، جـ ، المطبعة الحسينية ، مصر ، ص 19 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص ص 125 – 127 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ5 ، ص 433-434 . محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ط1 ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، 1964 ، ص 291

(2) ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 313 .

(3) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، 128 . محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 291 .

جزيرة قوصرة ، واحتلها ثم واصل الأسطول مسيرته إلى إفريقية ، ونزلوا حصن ديماس ، اشتبك الروم مع المقاتلين العرب الذين كانوا هناك ، وأرسلت الإمدادات من المهدية ، وبقي الأمير الحسن في المهدية ليحرسها ، وتجدد القتال داخل حسن ديماس ، أما الجنود العرب الذين كانوا خارج الحصن ، فقد قرروا مهاجمته ، فكبروا وهجموا على الحصن ، فوقع الرعب في قلوب الروم، وهربوا على سفنهم ، بعد أن قتلوا الكثير من خيولهم ، وغنم العرب نحو 400 فرس ، والكثير من الأسلحة والآلات ، وبقي الروم في مراكبهم بالبحر مدة ثمانية أيام ، وظل العرب يحاصرون حصن الديماس حتى انقطع الماء عن من بالحصن ففتحوا باب الحصن وخرجوا فتم قتلهم جميعاً ، ودخل العرب الحصن منتصرين[1] .

ذكر كل من ابن الأثير و ابن عذارى بأن الروم طلبوا ((الأمان من السلطان الحسن بن علي ، فلم تساعد العرب على ذلك ، وخرجوا في منتصف جمادى الآخرة ، فأخذتهم السيوف ، وقتلوا عن آخرهم ، وكان عدد الأجفان نحو 300 وعدد الخيل فيها نحو 1000 فارس))[2] .

انتهت معركة حصن الديماس ، بانتصار الأمير الحسن بن علي ، بفضل قوة وشجاعة الهلاليين الذين قاتلوا معه ، والذين رفضوا الصلح والاستسلام ، وأصروا على المواجهة والحرب ، وكان لانتصار العرب الهلاليين في هذه المعركة أثار بالغة ، فقد عمت الفرحة والاحتفالات جميع أرجاء أفريقية[3] ، وأنشد الكثير من الشعراء القصائد التي تمجد هذا الانتصار ، وكان من بين هؤلاء الشعراء الشاعر ابن حمديس*[4] الذي تغنى بهذا الانتصار قائلاً :

أبى الله إلا أن يكون ذلك النصر	وان يهدم الإيمان ما شاده الكفر
وأن يرجع الأعلاج بعد علاجها	خزايا على آثارها الذل والقهر

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 309 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، 612 . التيجاني ، المصدر السابق ، ص 335 . ابن ابي دينار ، المصدر السابق ، ص 113 .

(2) المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 309 . المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 613 .

(3) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 613 .

* حمديس ، هو عبد الجبار بن حمديس ، ولد في مدينة سرقوسة الواقعة على الساحل الشرقي من جزيرة صقلية سنة 447هـ/1055م ، من أصل عربي أزدي .

(4) ديوان ابن حمديس ، عبد الجبار ، تقديم : إحسان عباس ، د. ط ، دار صادر، بيروت ، ص 252 .

وكان ملك صقلية روجار ، قد دعا أهل بلاد الروم قاطبة لمحاربة المسلمين في أفريقية واجتمع له منهم أعداد كثيرة[1] ، وقد ذكر ابن حمديس هذا الأمر في قصيدته بقوله :

تنادوا كأسراب القطا في بلادهم ... وكان لهم في كل قاصية نفر

ولما تناهى جمعهم ركبوا به ... قرا زاخر الأذى آفاقه غبر

****

أتوا بأساطيل تمر كأنها ... جراد مظل ضاق عن عرضه البحر

وخيل حشوا منها السفين ولم يكن ... لها في مجال الحرب كر ولا فر

****

فسل عنهم الديماس تسمع حديثهم ... فهم بالمواضي في جزيرته جزر [2]

وتحدث ابن حمديس أيضاً عن دور قبائل بني هلال في هذه المعركة قائلاً:-

فجاءت رياح والرياح جيادها ... فشد من الدين القويم بها أزر

فأول إنصاف تولوه كفهم ... أذى كل فظ في سجيته غدر

وبادرت الأقدام منهم بمقدم ... فكم خبر عنها يصدقه الخبر

ودهم بني دهمان فاض على الوغى ... بكل فتى أحلى بسالته مر

وكرت بنو زيد على كل شيظم ... وسر المواضي في أكفهم جهر

وجاء ابن زياد بصخر فكافحت ... عن الثغر أنياب فلم يكثم الثغر

****

وقد حال بين الروم والبحر فالتجوا ... إلى القصر حتى جاءهم الرَّدى القصر

أعارب جدوا في جهاد أعاجم ... خنازير شبت حربها أسد هصر [3]

كتائب من كل القبائل أقبلت ... لفرض جهاد ما لتاركه عذر

أعز بهم ذو العرش دين محمد ... وضم عليه من كفالته جحر [4]

ومما سبق يتبين الدّور الكبير الذي لعبه فرسان بني هلال في مواجهتهم للروم وما نتج عن هذه المواجهة من انتصار لأهل أفريقية على الروم هذا الانتصار الذي تغنى

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 308 .

(2) ابن حمديس ، المصدر السابق ، ص 253 .

(3) نفسه ، ص 254 .

(4) ابن حمديس ، المصدر السابق ، ص 265 ،

به الكثير من الشعراء متحدثين عن عدد وعدة جيش الروم وعن بسالة وشجاعة بني هلال .

ب. استعانة الموحدين ببني هلال في افريقية :

1. العلاقة بين الموحدين وبني هلال في عهد عبد المؤمن بن علي :

ظهر الموحدون كدعوة في المغرب سنة 514 هـ/1120م[1] بقيادة محمد بن تومرت والذي كان ينتمي إلى قبيلة هرغة أحدى بطون مصمودة ، وبعد أن رجع من رحلته العلمية ، التي شملت الأندلس الحجاز ومصر والعراق ، بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فنزل المهدية ومنها رحل إلى مدينة المنستير ، ثم وصل بجاية وهناك التقى بعبد المؤمن بن علي ، وسارا معاً إلى مراكش ، استمر في دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتم استدعائه من قبل علي بن يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين لمناظرته ، ولم يقدر الفقهاء على مناظرته لقوة أدلته ، فقرر علي بن يوسف حبسه ، ولكن أحد أكابر الملثمين ويدعى بيان ابن عثمان اقترح إخراجه من مراكش ، اتجه محمد بن تومرت إلى أغمات ، ثم وصل إلى السوس وتبعته قبيلته هرغة ، وكدميوة ، ولقبه أتباعه وكان منهم عبد المؤمن بالمهدي ، وكان لقبه قبلها الإمام ، وسمى أتباعه بالموحدين ، وأصحابه بالطلبة[2].

بعد أن كثر أتباع محمد بن تومرت ، قرر مواجهة المرابطين ، فجهز علي ابن يوسف جيشاً بقيادة عامل السوس أبوبكر بن محمد لمحاربة ابن تومرت وأتباعه ، ولكن الموحدين هزموا المرابطين ، وزادت وفود القبائل المبايعة للموحدين ، وبايعه أهل تينملل ، وبقي معهم ، وألف كتاباً في التوحيد ، وآخر في العقيدة ، وبنى مسجداً[3] .

وقعت مواجهات عديدة بين الموحدين والمرابطين ، كانت الغلبة في أكثرها للموحدين .

---

[1] . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 569 . ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 308 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 464 .

[2] . ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص ص 173-174-175 .ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص ص 570 ، 571 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص ص 465 ، 457 ، 470 . ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 303 .

[3] . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 572 . ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 176 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 470 .

ونظم محمد ابن تومرت أصحابه في طبقات ، وجعل لكل طبقة وظيفة خاصة بها وألوى هذه الطبقات ، طبقة أهل العشرة وأولهم عبد المؤمن ثم أو حفص الهنتاني وغيرهما ، وأصحاب هذه الطبقة هم المقربين من ابن تومرت وأهل الثقة عنده ، والثانية أهل الخمسين وهي طبقة تضم خمسينً رجلاً من رؤساء القبائل هرغة وتينملل وهنتانة وجدميوة وجنفيسة ، والثالثة أهل السبعين وتضم سبعين رجلاً من أبرز رجال القبائل التابعة للموحدين [1].

جهز أبن تومرت سنة 522ه/1128م جيشاً بلغ عدده 40 ألف أكثرهم المشاة بقيادة الونشريسي ، وسار معهم عبد المؤمن ، وحاصروا مراكش ، ووقعت معركة بين الموحدين والمرابطين ، وكثر القتل في جيش الموحدين ، وهزموا ، وعندما علم ابن تومرت بهذه الهزيمة ، اشتد عليه المرض ، وقبل وفاته ، سلم أمر الموحدين إلى كبير أصحابه وأولهم عبد المؤمن بن علي ولقبه أمير المؤمنين[2] .

توفى ابن تومرت سنة 524ه/1130م ، وأخفى عبد المؤمن بن علي نبأ وفاة ابن تومرت مدة 3 سنوات خوفاً ، من المصامدة لأن عبد المؤمن لم يكن من نفس القبيلة . وأقام عبد المؤمن بن علي في تينملل إلى سنة 528ه/1133م ، ثم بدأ عبد المؤمن حملاته ضد المرابطين ، فسار بجيشه إلى تادله وفتحها وأطاعته صنهاجة وفي سنة 533هـ/1138م توجه إلى جبل كرناطة والتقى بجيش المرابطين بقيادة تاشفين ابن علي ووقعت معركة بين الجيشين في مكان يعرف بخندق الخمر ، وانتصر جيش عبد المؤمن وغنموا كل ما كان مع المرابطين ، استمر الصراع بين المرابطين والموحدين ، وتمكن عبد المؤمن بن علي من السيطرة على المغرب الأقصى والأوسط[3] ، ثم توجه بعدها إلى أفريقية ، وبدأ في بسط نفوذه عليها .

دخل عبد المؤمن أفريقية في سنة ، وهاجم تونس في جيش من المصامدة والعرب (حاصرها واخذ في قطع أشجارها وغوير مياهها) ، وأرسل عبد المؤمن

---

[1] . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 576 . ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 177 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 470 .
ـ المقري ، نفح الطيب في غصن الأندلس الطيب ، تحقيق محمد محي الدين ، جـ6 ، ط1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1949م ، ص 111.

[2] . جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 296 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 577 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 472 . المقري ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 111 .

[3] . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص ص 578-586 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص ص 472 – 480 .

عساكره إلى أفريقية بقيادة صهره عبد الله بن وانودين ويصلاسن بن المعز ، وعندما سمع بنو هلال بقدومهم قرروا الدفاع عن أنفسهم ومواجهة الموحدين ، فعسكروا بباجة بقيادة أميرها مؤنس بن يحي الرياحي ، وعندما علم روجار ملك الفرنجة ، بقرار بني هلال مهاجمة الموحدين ، راسل أمرائهم ومن بينهم محرز بن زيادة ، وجبارة بن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وعرض عليهم المساعدة بان يرسل لهم خمسة ألاف فارس في مقابل أن يرسلوا إليه الرهائن ، فرد بنو هلال على رسول روجار بالقول (ما بنا حاجة إلى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين) [1] .

وتمكن بنو هلال من الانتصار على جيش الموحدين ، بسبب الخلاف الذي وقع بين قائدي الجيش ، وقتلوا عبدالله بن وانودين[2] .

ثم قرر عبدالمؤمن بن علي الخروج بنفسه ، لمحاربة قبائل بني هلال ، وقعت المواجهة بين الطرفين ، ودارت المعارك على مدى ثلاثة أيام ، عند مدينة سطيف ، وكان جيش الموحدين يزيد عن 30 ألف فارس ، بقيادة عبد الله ابن عمر الهنتاتي ، وسعد الله بن يحي ، وكان العرب أضعافهم[3]، فانهزم بنو هلال وسبيت نساؤهم ، وأخذت أموالهم وأبناؤهم ، إلى مراكش سنة 547هـ/1152م ، واصطحب عبدالمؤمن معه بعض أمراء ومشائخ بني هلال ، وهم ديفل بن ميمون وجناس ابن الرومية و ابن الزحامس وابن زيان وابن قطران وابا عرفه وابا معرف ، وأنزلهم عبد المؤمن في مساكن فسيحة وأجرى لهم النفقات الواسعة ، وأمر أبنه محمد أن يكاتب أمراء العرب يخبرهم بان نساءهم وأولادهم في الحفظ ، وأمرهم أن يحضروا إليه ، فوفد عليه أمراء العرب من الأثبج ، فوصلهم ورجعهم إلى قومهم ، فاسترق قلوبهم ثم ساعدوه بعد ذلك في ولاية ابنه محمد[4].

واستولى على المهدية سنة 555هـ/1160م بعد أن طردوا الروم منها [5]، فحاصر المهدية ثم توجه إلى قابس وأخذها من بني كامل أحد بطون رياح ، وقفصة

---

[1] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص ص 312-316 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 186 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 473 .

[2] امراجع عقيلة الغناي ، قيام دولة الموحدين ، ط 1 ، المكتبة الوطنية ، بنغازي ، 1971 ، ص 311 .

[3] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 186 .

[4] نفسه ، ص 186 .

[5] المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تصحيح : سعيد الحريان ، محمد لعربي ، ط1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1949 ، ص 228 .

من يد بني الرند [1] ، وزرعة وطبرقة وجبل زغوان ومدينة الأربس من يد ملكها العربي، وعند عودته إلى المغرب أخذ معه عاصم ومقدم ومرة من بطون الأبثج وألف من جشم بعائلاتهم وأبنائهم[2] .

وصلت بعد ذلك إلى عبد المؤمن ، أنباء تقول بان بني هلال بأفريقية قد انتقضوا عليه ، وسبب انتفاضهم أن عبد المؤمن كان قد اجتمع بأمراء العرب ، وأخبرهم بان النصارى في الأندلس كثفوا هجومهم على المسلمين ، وطلب مساعدتهم وقال لهم : نريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة يجاهدون في سبيل الله ، فأجابوا بالسمع والطاعة واتفقوا على المسير معه إلى الأندلس ، في أثناء مسيرهم خاف بنو هلال أن يكون هدف عبد المؤمن هو أبعادهم عن أهلهم وبلدانهم ، وليس لغرض الجهاد ، لذلك قرروا الرجوع عن اتفاقهم مع عبد المؤمن[3].

فأرسل جيشاً مكوناً من 30 ألف مقاتل بقيادة ولديه ، أبي محمد وأبي عبد الله وهاجموا العرب ، وقتلوا قائدهم محرز بن زياد من رياح[4] ، في معركة وقعت جنوب القيروان عند جبل القرن ، وانهزم بنو هلال وسبيت نساؤهم وأخذ أولادهم إلى مراكش ، فقدم إليه وفود العرب من رياح ، لاسترجاع نسائهم وأولادهم ، فرد عبد المؤمن إليهم نساءهم وأحسن إليهم . [5]

عاد بنو هلال إلى عهدهم السابق لعبد المؤمن ، وقرروا الخروج مع عبد المؤمن إلى الأندلس للجهاد ، وتم تجهيزهم ، وبقيت أفريقية مع نواب عبد المؤمن آمنة ساكنة ، ودخل بنو هلال في طاعته ، كما أرسل عبد المؤمن عساكر العرب إلى المغرب[6] .

كان لبني هلال دور واضح وملموس في تغيير نهج سياسة الموحدين ، فيما يتعلق بنظام البيعة أو ولاية العهد ، فقد كان مقرراً أن يتولى القيادة بعد عبد المؤمن عمر الهنتاتي ، ولكن عبد المؤمن أحب أن يكون الملك والقيادة في بنيه من

---

(1) الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، جـ 2 ، ب.ط ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ف ، ص 121 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 491 .
(2) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 199 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 49 .
(3) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 247 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 44 .
(4) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، 246 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 494 .
(5) نفسه ، ص 502 .
(6) نفسه ، ص 44 .

بعده ، وبفضل مساعدة بني هلال ، تمكن عبد المؤمن من أخذ البيعة بولاية العهد لأبنه محمد من بعده .

ثم تبع ذلك عدة إجراءات سياسية مماثلة ، تمثلت في تولية أبناء عبد المؤمن الآخرين لعدد من المدن وهي بجاية وأعمالها لأبى محمد عبد الله ، وفاس لأبى الحسن . وتلمسان لأبى الحفض عمر ، وسبته والجزيرة الخضراء أبى سعيد توفي عبد المؤمن بن علي سنة 558هـ/1163م ، وخلفه أبنه يوسف [1] .

2. العلاقات بين الموحدين وبني هلال في عهد يوسف بن عبد المؤمن :

كان يحي المسوفي من رجالات دولة المرابطين ، وكان مقرباً من يوسف ابن تاشفين ، الذي زوجه بامرأة من أقربائه تسمى غانية ، ومنها أخذوا أسمهم ، وعندما تولى علي بن يوسف قيادة دولة المرابطين ، عقد يحي على غرب الأندلس ولمحمد على الجزر الشرقية (ميورقة ومنورقة ويابسة) سنة 520هـ/1126م [2].

عند ظهور دولة الموحدين ، تم عزل يحي ، وظل محمد بن علي والياً ، إلى أن توفى ، فخلفه ابنه عبد الله ، وبعده قام بالأمر إسحق بن محمد بن علي، الذي قرر هو وأخوته مهاجمة الموحدين ، خرج أسطولهم المكون من 32 قطعة ، وهاجموا مدينة المهدية ، ودخلها يحي بن غانية الميورقي سنة 578هـ/1182م وظلوا بها مدة يغيرون على باقي مدن أفريقية حتى سيطروا على بعضها[3] ، وهاجموا بجاية ، وكان واليها أبو الربيع عبد الله بن عبد المؤمن خارج المدينة وتمكنوا من السيطرة على المدينة سنة 581 هـ/1185م [4] ، ثم زحف علي بن غانية إلى كمسان واستولى على الأموال ثم رحل إلى الجزائر ودخلها ولى عليها يحي بن أبي طلحة ، ثم توجها إلى مازونة ومليانه، وولى عليها بدر بن عائشة ، دخل القلعة عنوة ، وانضم إلى ابن غانية جماعة من بني سليم ومن قبائل بني هلال جشم ورياح والأثبج، وأرسل المنصور جيشاً بقيادة أبي زيد بن أبي حفص عبد المؤمن ، وعقد له على المغرب الأوسط ، وبعث أساطيله إلى البحر بقيادة أحمد الصقلي ، ثار أهل الجزائر على

---

[1] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، 291 .

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 385.

[3] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 317 .

[4] . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص ص 390 ، 391 ، 392 .

يحي بن أبي طلحة وقبض على ابن عائشة وتم قتله، ودخل جيش المنصور بجايه ، وبعد خروج يحي بن غانية منها ، وملك قفصه من يد على بن غانية[1] ، الذي هرب إلى طرابلس ، التقى بقراقش واتفقا على محاربة الموحدين ، أما زغبة فقد انضمت إلى الموحدين ، افتتح علي بن غانية أغلب أفريقية ، وأقام فيها الدعوة العباسية .

ثار في عهد يوسف ابن عبد المؤمن ، أهل غمارة بالمغرب ، فأرسل إليهم جيشاً مكوناً من الموحدين والعرب بقيادة عمر وعثمان أخوي يوسف ، وتمكنا من القضاء على هذا العصيان ، كما ثار ابن غانية سنة 580هـ/1184م ، وملك بجاية ، وشارك بنو هلال مع والي بجاية عبد الله بن عبد المؤمن في محاربة ابن غانية ، فقد ذكر ابن الأثير[2] ذلك قائلاً :- فجمع من العرب والقبائل الذين في تلك الجهات نحو ألف فارس.

لكن ثورة ابن غانية استمرت ، ففي سنة 581هـ/1185م ، وشارك بعض من سليم ورياح وجشم والأثبج والأتراك الذين جاءوا مع قراقوش من مصر مع ابن غانية في السيطرة على أفريقية ، وتمكن ابن غانية من مد نفوذه على أفريقية كلها عدا تونس والمهدية ، فأرسل والي أفريقيا عبد الواحد بن عبد الله الهنتاتي إلى يعقوب بن يوسف يطلب المساعدة ، وكان ابن غانية قد قطع الخطبة لأولاد عبد المؤمن وخطب للخليفة العباسي ، وصل جيش الموحدين وكان عدته 20 ألف فارس ، وتمت هزيمة ابن غانية ، ومن معه ، ودخل يعقوب مدينة قابس واخذ منها أهل قراقوش وأولاده وحملهم معه إلى مراكش ، ثم (توجه إلى مدينة قفصه فحاصرها 3 أشهر وقطع أشجارها وخرب ما حولها)[3] .

وتمكن أبو يعقوب المنصور من القضاء على هذه الثورة بعد أن هدم المدينة وقطع أشجارها وخرب ما حولها وصارت مثل القرية ، التي شكلت تهديداً حقيقياً للموحدين وكلفتهم الكثير ، وقد شارك بنو هلال في صفوف جيش الموحدين الذين ساهموا في القضاء على هذه الثورة ، إلا أن هذه الثورة قد سببت انقساماً بين العرب

---

[1] . نفسه، جـ 6 ، ص 393 .

[2] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 507 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 309 .

[3] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 521 . المراكشي ، المصدر السابق ، ص 273 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 517 .

في أفريقية فكما أنضم بنو هلال وزغبة مع الموحدين ، وقف كل من الأبثج ورياح وجشم وبني سليم مع ابن غانية[1] .

في سنة 613هـ/1216م ، في أواخر دولة الموحدين زحف بنو مرين على المغرب الأقصى ، فجهز عامل فاس جيشاً لحربهم ، لكنهم هزموا ، وزحف بنو مرين إلى الرباط فجهز عاملها جيشاً من الموحدين والعرب من رياح ، وتمكن بنو مرين من هزيمة الجيش مرة أخرى ، واستولوا على الأسلاب والخيل والسلاح، قرر الموحدون وبنو رياح الثأر من بني مرين ، لما لحق بهم من هزيمة، كما انضم إليهم بني عسكر بن محمد إلى الموحدين ، والتقى الجيشان في مكان بالقرب من وادي سبو وهو على بعد أميال من تافرطاست ، في معركة حامية انتصر فيها الموحدون وبنو رياح ، وتمكنوا من قتل الأمير عبد الحق وابنه إدريس، ولكن بنو مرين اقسموا على الأخذ بثأر أميرهم ، وهجموا على الموحدين وبني رياح وهزموا رياح وقتلوا الكثير منهم ، واستولوا على أسلحتهم ومعداتهم[2].

مما سبق تبين أن قبائل بني هلال كانت دائماً تقف مع الموحدين فقد ساندتهم في حروبهم في أفريقية ضد ابن غانية وبني مرين ، انخرط الكثير من أبناء هذه القبائل في جيوش الموحدين وحاربوا معهم ، وهذا دليلاً على دور هذه القبائل في دعم ومساندة الموحدين وتوطيد حكمهم ووقفوا معهم دائماً .

ج ـ جهاد بنو هلال في الأندلس :

1. دورهم في معركة فحص* الجلاب 560هـ/1164م :-

فطن عبد المؤمن بن علي إلى شجاعة بني هلال وقوتهم ، وأراد أن يستفيد منهم في حربه ضد النصارى في الأندلس ، وقد تحدثنا عن طلب عبد المؤمن المساعدة من بني هلال وما حدث من ترددهم في أول أمرهم ثم قبولهم بالأمر وتسارعهم إلى نجدة عبد المؤمن في حربه في الأندلس ، فقد كتب إليهم رسالة يدعوهم فيها إلى الجهاد ، وذكر في أخرها قصيدة لابن طفيل منها :-

---

(1) نفسه ، جـ 6 ، ص ص 86 ، 395 .

(2) . الناصري ، المصدر السابق ، جـ 3 ، ص ص 6-7 . ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص 272 . جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 318 .

* الفحص ، هو كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع . الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، ص 268 .

أقيموا صدور الخيل نحو المغارب لغزو الأعادي واقتناء الرغائب

وأذكوا المذاكي العاديات على العدى فقد عرضت للحرب جرد السلاهب

....

ألا فابعثوها همة عربية تحف بأطراف القنا والقواضب

أفرسان قيس من هلال بن عامر وما جمعة من طاعن ومضارب

لكم قبة للمجد شدوا عمادها بطاعة أمر الله من كل جانب[1].

تأخرت قبائل بني هلال قليلا ، فأرسل إليهم الخليفة يستعجلهم وبعث إليهم بقصيدة أخرى لابن عياش جاء فيها :-

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل

وقوموا لنصر الدين قومه ثائر وشدوا على الأعداء شدة صايل

فما الغد إلا ظهر اجرد سانج يفوت الصبا في شدة التواسل

وأبيض مأثور كأن فرنده على الماء منسوج وليس بسائل

بني العم من عليا هلال بن عامر وما جمعت من باسل وابن باسل[2]

وصلت هذه القصائد إلى بني هلال في إفريقية والزاب ، فاستجاب له عدد كبير منهم ، وجازوا معه إلى الأندلس[3] وعند عودته بقي من العرب في الأندلس الكثير فقد وزعهم عبد المؤمن على قرطبة وأشبيلية وشريش[4] .

كان من عادة الخليفة الموحدي أن يخصص يوماً أو عدة أيام لاستعراض القبائل المشاركة في الجهاد ، وكانت هذه العملية تسمى (التمييز) ، فكان يتم استعراض قبيلة هرغة وتينملل وهنتاته وكدميوه وجنفيسة أولاً ثم يتقدم قبائل بنو زغبة وهلال ورياح وجشم ، وبمناسبة قدوم العرب من أفريقية منح الخليفة الموحدي (البركة) للموحدين والعرب وجميع الأجناد بما فيهم الرجالة والرماة[5] .

---

(1) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، تحقيق عيد الهادي التازي ، د.ط ، دار المغرب الإسلامية ، ص ص 411.

(2) نفسه ، ص 415 .المراكشي ، المصدر السابق ، ص 225 .

(3) نفسه ، ص 225 . محمد أحمد أبو الفضل ، شرق الأندلس في العصر الإسلامي ، د.ط ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص 1996 ، ص 119.

(4) المراكشي ، المصدر السابق ، ص 226 .

(5) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ص 44 – 45 . محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 64 .

أرسل عبد المؤمن في سنة 556هـ/1160م ، جيشاً بلغ عدده عشرين ألف فارس إلى الأندلس بقيادة عمر ابن أبي يحي الهنتاتي ، وصل عمر إلى غرناطة فحاصرها ، وأنضم إليه كل من صاحب مدينة وادي آش ، وإبراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش ، ولذا طلب النصارى المساعدة من الملك الفونسو السابع ، فأرسل إليهم جيشاً ، بلغ عدده 12 ألف مقاتل ، وكان جيش ابن مردنيش 6 ألاف مقاتل ، واستطاع الموحدون من هزيمة ابن مردنيش ، ولكن ابن همشك غدر بالمسلمين واستولى على مدينة غرناطة ، فخرج جيش الموحدين بقيادة أبا سعيد عثمان لمحاربته ، ولكن ابن مردنيش هزم جيش الموحدين[1] .

بعث عبد المؤمن مدد للجيش الأول ، بلغ عدده أكثر من 300 ألف فارس من جيوش المطوعة 80 ألف فارس و 100 راجل[2] ،بقيادة أبي يعقوب وتوجهوا مرة أخرى إلى غرناطة ، في ذلك الوقت كان أبن همشك ، قد طلب المساعدة من ابن مردنيش فوصل إليه في جموع من النصارى ، التقى الجيشان بفحص غرناطة، وهزم ابن مردنيش وصهره ابن همشك ، وفر ابن مردنيش إلى الشرق ، ومات الفونسو في طريقه إلى بياسة، وأبلى بنو هلال بلاء حسناً في هذه المعركة، ولاحظ ابن مردنيش أهمية مشاركتهم ، فنظم هجوماً على الجناح الغربي للجيش الموحدي ، والذي كان مكون منهم ، وأدى هذا الأمر إلى مقتل 7 من شيوخ العرب في هذه المعركة ، وكان لبنو هلال طرقهم الخاصة في القتال ، والتي تعتمد أساساً على الفرسان[3].

توفى عبد المؤمن وخلفه ابنه يوسف سنة 558هـ/1162م ، عاد ابن مرديش إلى تهديد المسلمين في الأندلس وحاول الاستيلاء على قرطبة ، فخاطب يوسف العرب واستدعاهم إلى الغزو والجهاد وأرسل إليهم قصيدة مشهورة كتبها ابن طفيل جاء فيها :-

أقيموا صدور الخيل نحو المغارب لغزو الأعادي واقتناء الرغائب
وأذكوا المذاكي العاديات على العدى فقد عرضت للحرب جرد السلاهب
فلا تقتني الآمال إلا من القنا ولا تكتب العليا بغير الكتائب

---

(1) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 156 . ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 193 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 495 . حسن علي حسن ، دراسات في تاريخ المغرب العربي ، د.ط ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1978، ص 219 .

(2) ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 139 .

(3) محمد المغراوي ، المقال السابق ، ص 317 .

ولا يبلغ الغايات لا مصمم | على الهول ركاب ظهور المصائب[1]

وذكر أبيات تشيد بالعرب وتستلهمهم إلى الجهاد : –

إلا فابعثوها همة عربيـة | تحف بأطراف القنى القواضب
أفرسان قيس من بني هلال بن عامر | وما جمعت من طاعن وضارب
لكم قبة للمجد شدوا عمادها | بطاعة الله أمر الله من كل جانب
فقوموا بما قامت به أوالئكم | ولا تفعلوا أحياء تلك المناقب
وقد جعل الله النبي وآلـه | ومهدية منكم بلا عيب صائب
ومن ذا الذي يسمع ليبلغ شاؤكم | إذا كنتم فوق النجوم الثواقب

وختم ابن طفيل قصيدته بهذه الأبيات :–

وما الحرم إلا طاعة الله أنها | هي الحرم المناع من كل طالب
يغدكم السيف الذي ليس يثنـى | إذا ما نبا سيف براحة الضرب
ونجعلكم صدر القناة إذا غدت | فاطرد ما بين الحشى والترائب
وليس خطيب الصدق من قال فانبرى | ولكن فعل الحر أصدق خاطب
وما خلق الأعراب خلاف موعد | ولكن صد الوعد خلق الأعارب
سنعلم من أوفى ومن خان عهده | ومن كان كم آت الغياد وذاهب[2]

ثم أمر الخليفة أن تكتب قصيدة أخرى للعرب تستنهضهم للجهاد ، فأرسلت إليهم قصديه أخرى نظمها ابن عياش جاء فيها :–

أقيموا إلى العلياء عوج الرواحل | وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل

****

أسروا بني قيس إلى نيل غاية | من المجد تجنى عند برد الأصائل
تعلوا فقد شدت إلى الغزو نية | عواقبها منصورة عند شد الأوائل[3]

كان لهذه القصائد صداها الطيب في نفوس بني هلال المقيمين في منطقتي الزاب والقيروان ، فقد اجتمع أمراؤهم بقيادة شيخ بني رياح جبارة بن أبي العينين،

---

(1) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ص 411-412 .
(2) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص ص 413-414 .
(3) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 415 .

وقرروا الاستجابة لنداء الخليفة ، وعندما وصلت الخليفة أنباء قدوم العرب فرح لذلك أشد الفرح وخرج لاستقبالهم[1].

وأمر يوسف بتجهيز حملة إلى الأندلس بلغ عددها أربعة آلاف فارس معظمهم من قبائل زغبة ورياح والأبثج وكانت قيادة الجيش للشيخين أبي سعيد وأبي عبد الله بن يوسف[2] ، عبروا إلى الأندلس ، واتجهت فرقة قوامها 500 فأرس إلى مدينة بطليوس لتعزيز حمايتها ، وسار باقي الجيش إلى أشبيلية ، ومنها إلى قرطبة ، ووقعت معركة بين الطرفين بالقرب من حصن الملك سنة 565هـ/1169م انتهت دون حسم ، أرسل القائدان إلى الخليفة الموحدي يوسف يطلبان الإمدادات ، فأمر بتجهيز جيش من الموحدين يضم عدداً من فرسان عرب الأبثج وريحا وزغبة وجاز به أبو حفص إلى الأندلس ، وهاجموا حصن اندوجر التابع لابن مردنيش ، ثم واصل الجيش مسيرته ، وسيطروا على الكثير من الحصون ، وقام السيد أبو حفص بتجهيز فرقة من خيار الموحدين والعرب ودخل بها على (غليرة) ثم واصل الجيش زحفه ، وانضمت إليه قوات غرناطة ، وسيطروا على الكثير من القلاع والمدن [3].

حشد ابن مردنيش قواته من جديد ، وخرج لاعتراض الموحدين عند لورقة، إلا أن الموحدين غيروا خط سيرهم إلى غرب لورقة وانحدروا إلى سهل (الغندون) ، وكانت قوات ابن مردنيش قد عادت إلى مرسية ، اقترب الموحدون من مرسيه ونلوا في حافة بلقواد ، المعروفة بفحص الجلاب وهي أول فحص مرسيه وتبعد مسافة عشرة أميال منها ، استعد الموحدون لقتال ابن مردنيش ، وتم تنظيم الجيش الذي كان يضم زهاء 12 ألف مقاتل ، ومن الموحدين ومن قبائل بني هلال رياح وجشم ورعين ، بالإضافة إلى نحو 4 آلاف تحت قيادة الشيخين أبي سعيد وأبي عبد الله ، و 80 ألف من جملة من عبروا مع السيد أبو حفص ، بدأ ابن مردنيش الهجوم بجيشه الذي كان عدده 13 ألفاً ، فهاجم العرب أولاً لأنه كان يدرك أهمية مشاركة العرب ، ثم هاجم الموحدين ، ووقعت بين الطرفين معركة هائلة ، قاتل فيها

---

(1) نفسه ، ص 417 .

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 497 . الناصري ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 148 . محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، جـ 2 ، ص ص 15 ، 61 .

(3) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 500 . الناصري ، المصدر السابق ، ص 148 . ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 419 . محمد أحمد أبو الفضل ، المرجع السابق ، ص ص 122-125 . محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 16 .

الموحدون والعرب بشدة وشجاعة ، واستمرت المعكرة حتى الغروب ، وانتصر الموحدون وفتكوا بجيش ابن مردنيش ، وهب ابن مردنيش إلى مرسيه وتحصن بها ، واستشهد في هذه المعركة شيوخ العرب السبعة بالإضافة إلى الكثير من الموحدين[1] .

وكان من نتائج معركة فحص الجلاب ، القضاء على ابن مردنيش ، ووصول جيش الموحدين إلى كل من أوريون وألش ، وسيطرتهم على كل المدن التي تم فتحها ، ووضع الولاة وحاميات الجند بها .

ومما سبق يلاحظ أن بنو هلال ، ساهموا في إحراز النصر على النصارى، وقدموا الكثير من الشهداء في سبيل الدفاع عن الإسلام والمسلمين .

وقد أقيمت الاحتفالات بمناسبة هذا النصر العظيم ، وخرج الأمير أبا يعقوب لاستقبال السيد أبو حفص ، وتم استعراض الفرسان من الموحدين والقبائل الأخرى ، وأقيم في اليوم التالي المآدب الحافلة بالطعام والشراب للموحدين والعرب ووزعت الغنائم والبرانس والأكسية ، وتسلم كل فارس طقماً كاملاً من الكساء ، ومنح الجميع الأعطيات من الذهب ، فكان نصيب الفارس من الموحدين والعرب 20 دينار ، وأعطى أعيان الموحدين وأشياخهم وكذلك أشياخ العرب 100 دينار وعمت الفرحة أرجاء الدولة بهذا النصر واستمر قرع الطبول 15 يوماً[2] .

2. دورهم في معركة شنترين 580هـ/1184م :

بعد انتصار الموحدين في معركة فحص الجلاب ، بفضل شجاعة وبسالة بني هلال ، استمر توافد القبائل العربية إلى مراكش ، للمشاركة في الجهاد بالأندلس ، ففي سنة 567هـ/1171م ، وصلت جموع العرب من أفريقية برفقة السيد أبي زكريا صاحب بجاية وأبي عمران صاحب تلمسان ، وكان يوم قدومهم يوماً مشهوداً[3] .

---

(1) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 210 . محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، جـ 2 ، ص ص 16-17 . أمراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص 140 . محمد المغراري ، المقال السابق ، ص 317 . الناصري ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 147 .

(2) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 293 . محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 19 .

(3) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 500 . الناصري ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 149 .

ثم وفد علي يوسف بن عبد المؤمن في سنة 570هـ/1174م ، أبو سرحان مسعود بن سلطان الرياحي في جيش عظيم من وجوه رياح[1] ،وعبر يوسف ابن عبد المؤمن إلى الأندلس في 100 ألف من العرب الموحدين[2] .

ذكر أبن الأثير[3] في حوادث سنة 571هـ/1175م ، أنه (كان لجيش الموحدين بالأندلس عدة وقائع ظهر فيها من شجاعة وبطولة العرب الكثير ، فقد كان الفارس العربي يخرج من بين الصفوف ، ويطلب المبارزة من فرسان النصارى فلا يخرج إليه أحد) .

أمر يوسف بن عبد المؤمن الناس بالجواز إلى الأندلس في سنة 580هـ/1184م ، بعد أن وصل إليه أبو محمد أبي أسحق بن جامع من أفريقية وعبر إليه العرب[4].

وكان أول من عبر قبائل العرب ، وتبعتها كل من زناتة والمصامدة وغمارة ، وغيرها من القبائل ، ووصلت قوات الموحدين بالقرب من شنترين ، وأمر الخليفة بحصار المدينة ونزل الموحدون في الربض الواقع جنوب شرق المدينة ، وكان البرتغاليون يسيطرون على مدينتي شنترين بقيادة ملكهم الفونسو هزيكيز ، واقتحم الموحدون السور وهدموا الأحياء الموجودة بها ، والكنيستين ، وقتل الكثير من النصارى ، ثم أعد الموحدون السلالم لاقتحام الأسوار ، وهجموا على النصارى واستمر القتال مدة 3 أيام ، وتمكن خلالها الموحدون من إلحاق الهزيمة بالنصارى ، وقتل ما يزيد عن 10 آلاف منهم ، أنسحب جيش الموحدين فجأة، وبقي الخليفة وحده ، هاجم النصارى الخليفة بمن معه ، ووقع قتال شديد ، وكان الخليفة يوسف قد أصيب في هذه المعركة ثم توفى[5] .

3 ــ دورهم في معركة حصن الأرك 591هــ/1194م :

توفي الخليفة يوسف سنة 580هـ/1184م ، بعد إصابته في معركة شنترين، فخلفه أبنه يعقوب في سنة 585هـ/1189م ، وواصل الخليفة يعقوب جهاده ضد

---

(1) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 212 .

(2) الناصري ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص 150 .

(3) المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 390 .

(4) المراكشي ، المصدر السابق ، ص 257 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 504 .

(5) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 215 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، 504 .

النصارى ، فجاز إلى الجزيرة الخضراء في جيش عظيم من الموحدين والعرب وكانوا أول من جاز البحر قبائل العرب ثم باقي القبائل ورجع إلى قرطبة محملاً بالغنائم والأسرى وقد بلغ عددهم 10 آلاف سبية 3 آلاف أسير ، ورجع الخليفة يعقوب المنصور إلى فاس وكان قد مرض[1] ، في أثناء مرضه تواصل وصول وفود العرب إلى مراكش ، وفي سنة 588هـ/1192م ، وصل السيد أبوزيد صاحب أفريقية ومعه شيوخ العرب من هلال وسليم واستقبلهم الخليفة[2] .

عندما علم الفونسو الثامن ملك قشتاله بمرض الخليفة ، أرسل إليه برسالة يهدده فيها ، فأمر الخليفة بقراءة الرسالة على الموحدية والعرب والقبائل الأخرى، ودعا إلى الجهاد ، فخرج من مراكش ، وجاز إلى الأندلس وكان أول من جاز البحر قبائل العرب ثم زناتة والمصامدة والقبائل الأخرى ، وصلوا إلى الجزيرة الخضراء ونزل المنصور بجيشه بالقرب من مدينة الأرك ، وبها سميت المعركة[3]، عقد المنصور مجلساً للشورى مع جميع القبائل المشاركة معه ، فاجتمع أولاً بأشياخ الموحدين ثم بشيوخ العرب ، وتتابعت الاجتماعات مع باقي القبائل ، واجتمع أخيراً بقواد الأندلس ، فاتفق على محاربة النصارى ، وتقضي خطة المعركة بتقسيم الجيش إلى قسمين ، الأول يهاجم النصارى ويقاتلهم والثاني هو الذي تحت قيادة الخليفة المنصور يبقى بالقرب من موضع المعركة ، لا يشترك في القتال إلا إذا انهزم الجيش الأول[4] .

عرض الخليفة المنصور القوات ، ومشى مع الكتائب وطاف عليهم في مواضعهم ، صفاً صفاً وقبيلاً قبيلاً ، وشكر استيفائهم واستعدادهم ،شكراً جزيلاً وخرجت المرتبات والبركات ، كما أن الخليفة وزع الأسلحة والخيل على الجند ، وأمر بإخراج من في السجون[5] .

عقد الخليفة المنصور الرايات للجيش ، وقدم الوزير أبو الحفص على العساكر وعلى قبيلة هنتانة ، وقاد ابن صناديد عسكر الأندلس ، عقد لجرمون بن

---

(1) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 219 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، 504 .

(2) نفسه ، جـ 6 ، ص 511 .

(3) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 222 .

(4) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 224 .

(5) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 722 .

رياح على جميع قبائل العرب ، ولنديل المغراوي على مغراوة ، ولمحبو بن أبي حمامة على جميع قبائل مرين وغيرها ولخابر بن يوسف على قبائل عبد الواد ، وعقد لعبد القوي التجيبي على قبائل تجيب وعلى قبائل هسكورة وسائر المصامدة ولمحمد بن منعفاد على قبائل غمارة وعقد للحاج أبي خزر يخلف الأوريني على سائر المطوعة[1] .

كانت جميع هذه الطوائف تحت قيادة السيخ أبو يحيا بن أبي حفص الهنتاتي الذي أمتاز بالفطنة والشجاعة في كثير من المعارك[2] ، ووصلت الجيوش بالقرب من مدينة الأرك ، وهو حصن يقع على حدود مملكة قشتالة[3] .

استعد الشيخ أبو يحيا قائد الجيش للحرب ، وعقد الرايات لأمراء القبائل فجعل عسكر الأندلس في ميمنة الجيش ، والعرب وزناتة والمصامدة وسائر القبائل في ميسرته ، والمطوعة والأغزاز والرماة في مقدمة الجيش ، وكانت رايته خضراء، وبقى الشيخ أبو حفص وقبيلة هنتاتة في قلب الجيش ، واستعد الجميع للمعركة ، وخرج أمير العرب أبن رياح يمشي بين صفوف المسلمين ويحثهم على الجهاد ، ويتلوا عليهم الآيات[4] *((يا أيها الذين أمنوا أصبروا وصابرو ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)) ، **((يا أيها الذين أمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)).

بدأ النصارى بالهجوم ، وكان قادتهم ابن ادفونش ، وابن الزنك وليبوج[5] ووجهوا هجومهم نحو قلب الجيش لاعتقادهم أن الخليفة المنصور بينهم ، واستشهد الشيخ أبو يحي، ومعه جماعة من المسلمين ، وهاجم العرب والمطوعة والأغرار وعساكر الأندلس وقبائل زناتة والمصامدة وغيرها ، الربوة التي فيها الفونسو الثامن وكان عددهم يزيد على 300 ألف ما بين فارس وراجل ، استمر القتال ، وقتل الكثير

---

(1) محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 202 .

(2) يوسف أشباغ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، ط 2 ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، ص 334 .

(3) ابن لأبي زراع ، المصدر السابق ، ص 225 .

(4) ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص ص 226 - 227. يوسف أشباغ ، المرجع السابق ، ص 335 .

* سورة آل عمران ، الآية (200)

** سورة محمد ، الآية (8) .

(5) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 512 .

من النصارى ، فقد قتل منهم 3 أساقفة ونحو 17 قساً من فرسان نظام سانتياجو ، وعدد كبير من فرسان قلعة رباح ، كما قتل جنتالوفيماس رئيس فرسان نظام يابرة ومعه مجموعة من مطوعة البرتغاليين ، وفر الباقي من ساحة[1] المعركة ، لكن العرب والمطوعة والأغزاز هاجموا وفتكوا بهم ، نهب الموحدون معسكر النصارى ، وأسرعت جماعة من العرب إلى الخليفة المنصور لتخبره بالنصر العظيم ، ودخل الموحدون الحصن عنوة ، وأخذوا 24 ألف فارس أسير[2]، وبلغ عدد القتلى من النصارى 30 ألف ، وذكر ابن خلدون[3] أن الأسرى كانوا خمسة ألاف فردهم بعددهم من المسلمين .

كان انتصار الموحدين في الأرك ، انتصاراً حاسماً[4] ، أعاد هذا الانتصار إلى الأذهان أمجاد معركة الزلاقة* ، وتمكن الموحدون بعد هذا الانتصار من استرداد مجموعة من الحصون مثل ملجون وبنافنستي وكاراكويل وقلعة رباح ، وكانت هذه الحصون والقلاع المحررة تقع على بعد 15 كم من الأرك[5] ، وتم تحويل الكنيسة في قلعة رباح إلى مسجد [6].

ولا ننسى دور بني هلال في هذه المعركة القوية ، فقد هاجموا النصارى بكل قوة وشجاعة ، ووصلوا إلى مكان قائد جيش النصارى الفونسو الثامن وتمكنوا من قتل الكثير من أتباعه وبددوا شمل جيشه ، استمرت مشاركة بني هلال مع الموحدين ، ففي عهد محمد الناصر شارك بنو هلال مع جيش الموحدين في حربهم ضد للفونسو الثامن في معركة العقاب عام 609هـ/1212م[7] .

---

[1] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 724 .

[2] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 228 .

[3] المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 512 .

* موقع من نواحي بطليوس ، وقعة فيه معركة بين المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين وبين النصارى بقيادة ابن ادفونش سنة 481هـ وانتصر فيها المرابطين .

[4] المقري ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، جـ 6 ، ط1 ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، 1949 ، ص

[5] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 725 .

[6] المراكشي ، المصدر السابق ، ص 283 . يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 338 .

[7] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 234 .

الفصل الرابع

الآثار العامة لهجرة قبائل بني هلال

أ ـ الآثار السياسية

1. تأسيس إمارة قابس
2. ضعف وتفكك إمارة بني زيري .
3. طمع نورمان صقلية في أفريقية .

ب ـ الآثار الاقتصادية

1. الزراعة .
2. الصناعة .
3. التجارة

ج ـ الآثار الاجتماعية

1. الناحية الاجتماعية .
2. الناحية الثقافية .

أ ـ الآثار السياسية

1. تأسيس إمارة قابس :

كان من أهم الآثار السياسية ، لهجرة قبائل بني هلال إلى أفريقية ، تاسيس إمارة قابس من قبل أسرة بني جامع الهلاليين ، 490-550هـ/1096-1155م [1].

ذكر ابن خلدون [2] أن أهالي مدينة قابس ، قتلوا الوالي (وبعثوا عمرو أخ السلطان في طاعة العرب).

تولى بكر بن كامل بن جامع ، وهو من بني جامع أحدى بطون رياح ، مقاليد الأمور في مدينة قابس ، وأنضم إليه مثنى بن تميم بن المعز ، الذي كان على خلاف مع والده ، خرج بكر بن كامل ، ومعه مثنى بن تميم في جيش للاستيلاء على المهدية ، لكنه لم يتمكن من ذلك[3] .

في سنة 493هـ/1099م هرب والي صفاقس حمو بن مليل إلى مدينة قابس ، واستقبله بكر بن كامل وبقي في المدينة إلى أن توفي[4] .

توفي كامل فخلفه ابنه رافع سنة 500هـ/1106م ، وفي عهده قويت قابس وزاد ملكه بها ، واختط رافع قصر العروسين ، وقيل أن من قام بذلك أخوه راشد بن كامل[5] .

توفي تميم بن المعز سنة 501هـ/1107م ، خلفه ابنه يحيى ، في عهده أنشأ رافع ابن كامل أسطولاً بحرياً ، وكانت مهمته حمل التجارة عبر البحر .

توفي يحيى بن تميم وتولى بعده أبنه علي بن يحيى ، الذي قرر مهاجمة إمارة قابس سنة 511هـ/1117م ، لامتلاكها لذلك الأسطول البحري ، فاستعان رافع بروجار ، ووقعت مواجهات بين رافع بن كامل وعلي بن يحيى ، والتي سبق الحديث عنها.

مما سبق يلاحظ أن بنو جامع تمكنوا من إقامة المدينة الدولة ، فقد قاموا بإنشاء المباني والتي كان أشهرها قصر العروسين ، إضافة إلى امتلاكهم لأسطول

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 328 .

[2] نفسه ، ص 340 .

[3] نفسه ، ص 341 .

[4] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 302 .

[5] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص ص 328 ، 341 .

بحري نافس أسطول بني زيري ، وبعد وفاة رافع تولى أخوه رشيد بن كامل إمارة قابس ، وتم في عهده ضرب السكة الرشيدية وهي عبارة عن دنانير من ذهب[1] .

وصار لبني جامع القصور والوزراء والشعراء الذين يمدحونهم ويرغبون في عطاياهم ، واستمرت إمارة بني جامع لقابس ، فبعد وفاة رشيد بن كامل تولى أبنه محمد بن رشيد ، وقد مدحه الشاعر أبو الفضل بن الفقيه بن عبد الله نزار الهواري في قصيدة منها :

أن امتداحي لك من دون الورى   إلا بمن دانت له العليـاء

مثل المليك ابن الرشيد فإنه بهر الملوك ووصل حيث يشاء [2]

كان لمحمد بن رشيد مولى يسمى يوسف ، وقد استغل هذا المولى غياب الأمير عن قابس وقام بطرد أبنه وأساء معاملة أهله ، فأرسلت امرأة من بني قرة إلى أخوتها تشكو لهم ذلك ، فجاءوا لأخذها ، لكن يوسف رفض ، فما كان منهم إلا أن استعانوا بالحسن بن علي ، الذي أرسل جيشاً لمحاربة يوسف وفي هذه الأثناء كان يوسف قد دخل في تحالف مع روجار ، وطلب منه أن يبعث إليه خلعه وعهداً بولاية قابس ليكون له نائباً فيها ، فثار أهل قابس ضده ، وسلموا المدينة إلى جيش الحسن بن علي وتم القبض على يوسف وأخذ أسيراً[3] وقد حاصر روجار مدينة قابس مدة عندما تسلمها محمد بن رشيد وأخوه عيسى[4] .

كان أخر أمراء بني جامع مدافع بن رشيد ، وكان وزيره يدعى بن فرحان القابسي ، وهو سلام بن أبي بكر فرحان ، وهو شاعراً أيضاً وله قصيدة يهنئ فيها الأمير مدافع بشهر رمضان سنة 553هـ/1158م منها هذه الأبيات .

بربع رامة رام الركب إلماما   فغاض صبري وفاض الدمع تسجاما

وقل للربع منا أن تلم بـه   وأن تحي به رسماً وأعلامـاً

في عصبة كأسود الغاب قد جعلت   سمر الرياح بيض الهند آجاما

---

[1] . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ6 ، ص 342 . حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، ق1 ، د.ط ، مكتبة المنار ، تونس ، 1964 ، ص 450.

[2] . العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق : عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، ق 4 ، جـ 1 ، د.ط ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1964 ، ص 148 .

[3] . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 120 .

[4] . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 342 .

يهنئ المدافع أن الله خولـه عزاً ينال به كل الذي راما[1]

امتدح الشعراء الأمير مدافع بن رشيد ومن هؤلاء الشعراء يحيى بن التيفاشي وهو من مدينة قفصة انتقل إلى قابس وسكن بها ومدح أمراء بني جامع ، وله قصيدة في مدح الأمير مدافع منها :-

كأن محياه مدافع قد بـدا بغرته في النقع يسطو بها قهراً

هو الغيث في بذل النوال إذا طما هو الليث في يوم النزال إذا كرا[2]

والسكرلي وهو من مدينة قفصة أيضاً ومدح رافع بن رشيد قائلاً :

ما أنت إلا جوهر قام ذاته بنور هدى من جوهر العدل ساطع

وأرحيك موفور وثانيك هالك وأيامك الدنيا بغير مصـارع[3]

سقطت إمارة قابس في يد الموحدين سنة 555هـ/1160م ، بعد استيلائهم على المهدية وطرابلس ، ودخل جيشهم بقيادة عبد الله بن عبد المؤمن إلى قابس ، حيث قتل الوزير ابن فرحان ، ولذا لحق مدافع بن رشيد بعرب طرابلس ، ثم عاد إلى قابس بعد سنتين فأكرمه عبد المؤمن ورضى عنه[4] .

هكذا استطاعت أسرة بني جامع الهلالية ، أن تكون إمارة ، استمرت من سنة 1096/490م هـ حتى 555هـ/1160م أي ما يقرب عن 70 سنة .

وقد استمرت هذه الإمارة مزدهرة حتى وصل الموحدون إلى أفريقية وتمكنوا من السيطرة على قابس ، وغيرها من مدن أفريقية الأخرى ، ولاشك أن أمراء هذه المدينة حاولوا التوسع ومد نفوذهم خارج المدينة كما حدث مع رافع ابن مكن عند مواجهته مع علي بن يحيى ، فقد تمكن من الدخول إلى القيروان والسيطرة عليها ، ولكن علي بن يحيى استعان بباقي قبائل العرب ، لإخراج رافع من القيروان[5] .

---

[1] . العماد الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص 145 .

[2] . نفسه ، ص 150 .

[3] . نفسه ، ص 151 .

[4] . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 343 .

[5] . ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 307 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 341 .

2. تفكك إمارة بني زيري:

كانت أفريقية خاصة ، وبلاد المغرب عامة ، قبل دخول بني هلال إلى أفريقية ، مسرحاً لكثير من الأحداث السياسية ، وتمثلت في قيام الدولة الفاطمية وما تبعها من اضطرابات سياسية ودينية ، تم تناولها في الفصل الثاني ، وبعد خروجهم ، واستلام بني زيري مقاليد الأمور في أفريقية ، كانت هناك الكثير من الصدامات بين صنهاجة وزناتة، واستمرت هذه المواجهات حتى تملك المعز بن باديس مقاليد الحكم في أفريقية ، وهي الفترة السابقة لدخول قبائل بني هلال إليها ، وكانت أفريقية مقسمة بين بني زيري في القيروان ، وبني حماد في القلعة وبجاية.

وبعد دخول قبائل بني هلال إلى أفريقية سنة 444هـ/1052م ، وخاصة إلى القيروان تم تقسيم مدن أفريقية سنة 446هـ/1054م ، فكان لحسن بن سرحان القسنطينة وملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة وإطاعة أهلها* ، ولزغبة طرابلس وما حولها ، ثم قسمت أفريقية مرة أخرى ، وملك عائذ بن أبي الغيث مدينة تونس[1] ، ملك أبو مسعود علي بونة صلحاً .

وقامت الكثير من المدن بخلع طاعتها للمعز بن باديس ، مثل ما حدث في مدينة سوسة وامتنعت عن دفع التزاماتها ، كما استقل أهل قفصة وهم بنو الرند ، واستقل بنو خراسان بتونس ، حمو بن مليل بقابس وصفاقس ، أنتقل المعز بن باديس من القيروان إلى المهدية سنة 449هـ/1057م [2].

استعان بكلين الصنهاجي قائد بني حماد ، بقبائل بني هلال (الأثبج و عدي) في سنة 449هـ/1057م ، في حربه مع زناتة و انتصر عليهم وقتل منهم الكثير، وحدثت صدامات بين قبائل بني هلال وهوارة ، سنة 452هـ/1060م ، وفي القيروان استطاعت هذه القبائل هزيمة هوارة* والانتصار عليها [3].

---

(1) ابن عذاريى ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 294 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ص 569 .

* ذكر ابن الأثير بأن أهل باجة انتقلوا من باجة إلى المهدية ، وهذا القول أشارة أن خروج أهل باجة من المدينة كان برغبتهم ، جـ 9 ، ص 269 .

(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 299 .التيجاني ، المصدر السابق ، ص 330 ..

(3) نفسه ، جـ 1 ، ص 299 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 9 ، ص 569 .

* هوارة : إحدى قبائل البربر البراني ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 179 .

تولى تميم بن المعز سنة 454هـ/1062م بعد وفاة والده ، وازداد طمع العمال في الاستقلال[1]، وبدأ العرب يدخلون في تحالفات مع أمراء المدن كما حدث في سنة 456هـ/1064م ، عندما استعان حمو بن ومليل قائد صفاقس لقبائل بني هلال (عدي والأثبج) في زحفه على المهدية ، وفي الوقت نفسه تحالف بعض قبائل بني هلال (زغبة ورياح) مع تميم بن المعز ، واقتتل الطرفان ، وانهزم حموبن ومليل ومن معه[2] .

قرر الناصر بن حماد سنة 457هـ/1065م مهاجمة تميم بن المعز ، فخرج إليه في جيش مكون من صنهاجة وزناتة وبعض قبائل بني هلال (عدي والأثبج) ، فلقيهم جيش تميم بن المعز المؤلف من قبائل بني سليم وبعض قبائل بني هلال (زغبة وياح) بمدينة سبيبة ، وكان جيش تميم بن المعز بقيادة المعز بن زيري الزناتي ، وعندما علم تميم بن المعز ، بمسير جيش الناصر بن علناس يريد المهدية ، استعمل مكيدة ليحدث الفرقة بين صفوف جيش الناصر بن علناس ، فأرسل إلى قبائل بني هلال التي كانت في جيش ابن علناس (عدي والأثبج) ، وخوفهم من الناصر وأخبرهم بأنه سيقضي عليهم بعد ذلك ، فوافقت قبائل بني هلال على الانسحاب من المعركة ، أرسل تميم بن المعز رسولاً عن طريق قائده المعز بن زيري الزناتي إلى قبائل زناتة وأخبرهم بمثل ما اخبر به قبائل بني هلال ووافقوا على الانسحاب من المعركة ، ووقعت معركة انهزم فيها الناصر بن حماد ونهبت أمواله ، قتل الكثير من أصحابه وكان من بين القتلى أخو الناصر القاسم بن علناس ، وكان عدد قتلى صنهاجة وزناتة أربعة وعشرين ألفا[3]. وكان من نتيجة هذه المعركة أن نقل بنو حماد مقر إقامتهم من مدينة القلعة إلى مدينة بجاية ، أرسل تميم المعز جيشاً إلى تونس سنة 458هـ/1065م لمحاصرتها وكان معه (يبقي بن علي) أمير زغبة ، لأن صاحبها ابن خراسان قد ثار عليه ، ثم وقع اتفاق بين تميم بن المعز

---

(1) ابن خلكان ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 304 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 179 . ابن غلبون ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 16 .

(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 299 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 16 . ابن غلبون ، المصدر السابق ، ص 35 .

(3) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 299 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 45-46ابن غلبون ، المصدر السابق ، ص 38

وابن خراسان صاحب تونس، ورفع الحصار عن تونس وكان قد استمر مدة أربعة عشر شهراً ، جدد الناصر بن حماد في سنة 460هـ/1067م هجومه على مدينة الأربس وكان جيشاً يضم بعضاً من قبائل بني هلال (الأثبج) ، تمكن الناصر من فتح المدينة وآمن أهلها بعد أن قتل عاملها ابن مكراز ، وواصل تقدمه ومعه الأثبج إلى القيروان ودخلها[1] .

لكن بعد مرور عام واحد ، سنة 461هـ/1068م رجع الناصر بن حماد إلى القلعة خوفاً من العرب ، فربما انفصل العرب عن الناصر ، ووقفوا ضده بعد أن كانوا معه ، ويذكر ابن غلبون[2] في حديثه عن هذا الموضوع أن "تم للعرب ملك البلاد" واشترى الناصر بن علناس القيروان من مهنا بن علي أمير زغبة سنة 466هـ/1073م وبنى سورها وحصنها .

ووقع قتال بين زغبة ورياح ، وطردت زغبة من أفريقية ، ونزلت بالمغرب الأوسط مع بني بادين* ، وصارت زغبة تسكن المنطقة الممتدة من مصاب إلى جبل راشد وعقد بنو زغبة مع بني بادين حلف يقضي بحسن الجوار وحماية الوطن من العدوان [3]، وأقامت زغبة في القفار ، وبني بادين بالقلول والضواحي[4] .

وصلت جماعة من بني هلال إلى أفريقية سنة 468هـ/1075م ونزلت حول القيروان ، ثم حاصر مالك بن علوي ومعه جموع كثيرة من قبائل بني هلال، المهدية سنة 476هـ/1083م ، فأرسل تميم بن المعز جيشاً لمحاربته ، وتمكن من هزيمته، ثم حاول مالك بن علوي غزو سوسة ودخلها عنوة ، لكنه هزم وقتل جماعة من أصحابة وتم أسر الباقي في سنة 482هـ/1089م [5].

وقع قتال بين قبائل بني هلال (عدي ورياح) ، فقتل رجل من عدي رجلاً من رياح ثم اصطلحوا ، وعندما علم تميم بن المعز بالأمر ، رأى أن الصلح بين

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 299 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 335.

(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 300 . ابن غلبون ، المصدر السابق ، ص 38

* - بنو بادين :- بطن من بطون قبيلة زناتة . ابن خلدون ، جـ 6 ، ص 203 .

(3) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 300 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 46، ص 327 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 51 .

(4) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 47 .

(5) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 298 . ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 300 . التيجاني ، المصدر السابق ، ص 331 .

الطرفين يضر بمصلحة بلاده ، فأرسل أبيات من الشعر إلى أهل القتيل من رياح يحرضهم فيها على الأخذ بثأرهم وهذه الأبيات هي :-

متى كانت دماؤكم تطل — أما فيكم بثأر مستقل

أغانم ثم سالم أن فشلتم — فما كانت أوائكلم تذل

وغتم عن طلاب الثأر حتى — كأن العز فيكم مضمحل [1]

فنشب القتال مرة أخرى بين الطرفين ، وأسفر عن خروج عدي من أفريقية[2]، وملكت رياح ضواحي قسطنطينة ، ونزلوا بقرى الزاب ، واستقروا بها وتركوا الغزو ، واستقروا بالقرى والآطام*[3] .

توفى تميم بن المعز سنة 501هـ/1107م ، خلفه ابنه يحيى بن تميم وكان عمره ثلاث وأربعين سنة[4] وتوفي يحيى بن تميم سنة 509هـ/1115م وتولى بعده ابنه علي بن يحيى .

حاصر علي بن يحيى مدينة قابس سنة 511هـ/1117م لأن صاحبها رافع ابن مكن الدهماني أنشاء أسطولاً لتحمل التجارة في البحر ، دون أن يأخذ الأذن من علي بن يحيى ، فاستنجد رافع بروجار ملك الفرنج ، توترت العلاقات بين أفريقية وصقلية في عهد علي بن يحيى الذي تولى مقاليد الأمور في دولة بني زيري سنة 509هـ/1115م ، ونقض الهدنة التي كانت قد عقدت بين روجار وبين تميم بن المعز جد علي بن يحيى 468هـ/1075م ، وقام علي بن يحيى بسجن الوكلاء التجاريين الصقليين في أراضيه وصادر أموالهم ، ولعل سبب ذلك هو مساعدة روجار لرافع بن كامل بن جامع الرياحي أمير قابس سنة 511هـ/1117م ، فخرج علي بن يحيى بأسطوله لحصار قابس ، وبقى أسطول علي بن يحيى محاصراً لمدينة قابس ، وقد طلب رافع بن كامل الصلح من علي بن يحيى فرفض ، فأرسل روجار رسولاً إلى علي بن يحيى سنة 512هـ/1118م يطلب منه تجديد العقود

---

[1] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، 450 .

(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 302 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 450 . ابن غلبون ، المصدر السابق ، ص 4. . محمد المرزوقي ، " منازل الهلاليين في الشمال الإفريقي" ، الندوة العالمية الاولى حول السيرة الهلالية ، ط 1 ، الدار التونسية للنشر ، الحمامات ، 1980 ، ص 21 .

(3) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 49 .

* الآطام : مفردها أطم : وهو حصن مبني بحجارة ، وقيل كل بيت مربع مسطح ، ابن منظور ، المصدر السابق ،

(4) ابن الآبار ، المصدر السابق ،، جـ 2 ، ص 189 .

وتأكيد العهود ، لكن علي بن يحيى رد الرسول دون جواب فكان هذا التصرف سبباً في زيادة الوحشة والفتور بين علي بني يحيى وروجار [1]، كان علي يخطط للهجوم على صقلية بمساعدة المرابطين ، لكنه توفي سنة 515هـ/1121م [2] ، الذي بعث أسطوله إلى قابس ثم عاد ، وبقي علي ابن يحيى يحاصر مدينة قابس فترة ، ثم رفع الحصار ، فجمع رافع بن مكن قبائل بني هلال ، ونزل بهم على المهدية ، ووقعت حرب بين الطرفين ، انهزم فيها عسكر رافع[3] .

وفي علي بن يحيى سنة 515هـ/1121م ، خلفه ابنه الحسن بن علي ، أرسل صاحب بجاية يحيى بن عبد العزيز بن حماد جيشاً ليحاصر المهدية سنة 529هـ/1134م لأن صاحب المهدية الحسن بن علي ، كان قد قرب أحد أمراء العرب وهو ميمون بن زياد ، فحسده باقي الأمراء ، وأرسلوا يحيى بن عبد العزيز لكي يرسل لهم جيشاً يهاجموا به المهدية ، بعد أن تركوا أولادهم رهائن عنده ، ثم وصله كتاب من بعض مشائخ المهدية ، بمثل ما أخبره به أمراء العرب، فأرسل جيشاً لفيفاً بقيادة قائده مطرف بن حمدون ، وبه الكثير من قبائل بني هلال ، وحاصروا المهدية براً وبحراً ، ووقع القتال بين الطرفين ، ودخلت سفن مطرف المدينة بحراً لكن الحسن هاجمه ، واستولى على أربع سفن ، ووصل الأمير ميمون بن زيادة ومعه قبائل بني هلال لنصرة الحسن ، وتمت هزيمة مطرف ورحيله عن المهدية[4] .

الملاحظ مما سبق ، أن قبائل بني هلال منذ دخولها أفريقية ، لم تكن هي المسبب الرئيسي لهذا الانقسام السياسي في أمارة بني زيري ، فقد كان الضعف والانحلال بادي على أمارة بني زيري قبل وصول قبائل بني هلال إلى أفريقية ، فكانت مقسمة بين بني زيري في المهدية وما حولها ، وبني حماد في قلعة وبجاية وأن ما وقع من أحداث بعد دخول قبائل بني هلال أفريقية ، ما هو إلا استمرار

---

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ1 ، ص 307 .

(2) التجياني ، المصدر السابق ، ص 333 . رمضان المبروك خليفة ، المرجع السابق ، ، ص 87-88 .

(3) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 307 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 10 ، ص 530 . ابن غلبون ، المصدر السابق ، ص 46 . التجاني ، المصدر السابق ، ص ص 98، 99 .

(4) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص ص 31 ، 32 .
ـ ابن غلبون ، المصدر السابق ، ص 50 .

لصدامات بين صنهاجة وزناتة ، كذلك بين أبناء العم زيري وحماد ، وقد استغل هؤلاء القادة ، وجود قبائل بني هلال في أفريقية فأقحموهم في خضم هذا الصراع فالصراع كان قائماً وموجوداً قبل دخول قبائل بني هلال ، وما فعله بنو هلال هو أنهم صاروا الطرف الثالث في الصراع .

ج ـ طمع نورمان صقلية في أفريقية :-

أدى ضعف وتفكك أمارة بني زيري ، إلى طمع النورمان في السيطرة على سواحل أفريقية والتي كانوا دائماً يسعون لبسط سيطرتهم عليها[1] ، ومن أجل تنفيذ ذلك ، بدءوا بصقلية ، فقد سيطر النورمان عليها عام 444هـ/1052م ، وتمكن روجار من بسط سيطرته على الجزيرة ، فاستنجد أهالي صقلية بالمعز بن باديس، وأرسل أسطوله لنجدتهم ، لكن عاصفة هبت حالت دون وصوله إلى الجزيرة ، وفي عهد تميم بن المعز حاول استرجاع جزيرة صقلية لكنه فشل في ذلك ، وتملك روجار الجزيرة ، ما عدا مدينتي قصريانة وجرجنت اللتين حاصرهما النورمان حصاراً شديداً ، ولم يبق لدى أهل مدينة جرجنت ما يأكلونه ، فاضطروا للاستسلام ، أما مدينة قصريانة ، فقد استمر حصارها ثلاث سنوات ، وأذعن أهلها إلى التسليم [2].

استمرت هجمات النورمان على أفريقية ، خاصة بعد أن شجع البابا فكتور الثالث على تجنيد جماعة من رجال البحر ، البيزيين والجنوبيين للإغارة على سواحل أفريقية ، ففي سنة 480هـ/1087م ، وصل إلى المهدية أسطول يتكون من 300 سفينة تجمل 30 ألف مقاتل من أهالي جنوة و أوسيته [3]، واستولوا على مدينتي المهدية وزويلة ، ونهبوها وقتلوا الكثير من السكان واحرقوا المدينة بالنار، وقد سبق الإشارة إلى دور قبائل بني هلال في الدفاع عن مدينتي المهدية وزويلة.

---

[1] أمين توفيق الطيبي ، "العلاقات بين جزيرتي جربة وصقيلة في أواخر القرون الوسطى" ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة 6 ، العدد 1 ، يناير 1984 ، ص 140 .

[2] ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 8 ، ص ص 158 ، 159 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 450 .

[3] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 301 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 8 ، ص 147 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 328 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 151 .

اضطر تميم بن المعز إلى مفاوضة روجار ، وتقديم 100 ألف دينار للنورمان مقابل تنازلهما عن المدينتين [1].

ومما سبق يتضح أن ضعف دولة بني زيري ، الذي يعود إلى سوء إدارة تميم بن المعز وعدم اهتمامه بتحصينات مدينة المهدية ، كان سبباً لهذه الهزائم .

رجع النورمان سنة 498هـ/1104م لمهاجمة المهدية مرة أخرى ، في أجفان كثيرة حربية تسمى الشواني* ، ومعهم 28 مركباً ، حاولوا دخول المهدية من باب دار الصناعة ، فهجم عليهم أسطول المهدية وهزمهم وقتل منهم الكثير [2] .

وفي عهد تميم بن المعز ، زاد النزاع بين بني زيري وبني حماد سنة 501هـ/1107م ، ونتج عن هذا الصرع تخريب جزء كبير من ساحل أفريقية ، فاضطر تميم بن المعز إلى استيراد كميات كبيرة من قمح صقلية ، مقابل تصدير زيت الزيتون إلى صقلية ، واستقرت بعثة تجارية دائمة في المهدية ، وقامت رحلات بحرية تجارية بين الجانبين ، لكن روجار ملك صقلية كان يرمي من وراء هذه الإجراءات الاقتصادية ، السيطرة العسكرية على أفريقية ، وكان يبحث عن ذريعة ليتمكن بها من التدخل في الشؤون السياسية لأفريقيا[3] .

ومما سبق يلاحظ أن أفريقية كانت تصدر الكثير من المنتوجات المحلية والتي منها زيت الزيتون إلى صقلية ، وأنها كانت تستورد القمح بسبب الحرب بين أبناء العم زيري وحماد ، وهذا يدل على أن اقتصاد أفريقية كان بخير إلى حد ما ، وفي هذا الوقت كانت قبائل بني هلال قد استقرت في أفريقية ، ولم يكن وجودها سبباً في ضعف اقتصاد أفريقية كما ذكر .

تولى يحيى بن تميم سنة 509هـ/1115م بعد وفاة والده تميم بن المعز ، وأرسل يحيى بن تميم أسطوله إلى بلاد الروم 507هـ/1113م ، فرجع إلى المهدية ومعه الكثير من السبى وعمت الفرحة أرجاء أفريقية بهذا النصر [4] .

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 328 .
* الشواني : مفردها الشيني ، وهي من أهم السفن وأكبرها وكانوا يقيمون لها أبراجاً وقلاعاً للدفاع والهجوم ، وكان متوسط ما تحمله الشيني 150 رجلاً ويجدف بمائة مجداف ، لسان العرب ، شؤن .
[2] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 301 .
[3] رمضان المبروك خليفة ، احتلال نورمان صقلية لجزر ومدن ساحل أفريقيا ، ط1 ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 2003 ، ص 87 .
[4] ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 305 .

ثم وصلت إلى يحيى بن تميم هدية من روجار ، وطلب منه هدنة ، ومدح أمية بن الصلت الأندلسي ، يحيى بن تميم بقصيدة جاء فيها :-

يهاديك من لو شئت كان هو المهدي	والا فضمنه المثقفة الملدا
وكل سر يحيى إذا ابتز غمده	تعوض من هام الكماة له غمدا
تخير فرداً مخاطباً الهند شأنه	إذا شيم يوم الروع أن يزوج الفردا
طبا ألفت غلب الرقاب وصالها	كما ألفت فهن أغمادها صدا
تركت بقسطنطينة رب ملكها	وللرعب ما أضفاه منه وما أبدى[1]

تولى بعده ابنه الحسن بن علي سنة 516هـ/1122م ، وقام المرابطون بإرسال أسطول بقيادة أبو عبد الله بن ميمون للإغارة على صقلية ، وتمكنوا من فتح مدينة نقوطرة وسبى نساءها وأطفالها ، وكان هذا الهجوم بناء على طلب من الحسن بن علي رداً على تدخلات روجار في شؤون أفريقية [2]

وجدد النورمان هجماتهم مرة أخرى على أفريقية ، أرسل روجار أسطوله بقيادة قائده جرجي الأنطالي ، فهجم على طرابلس سنة 540هـ/1145م ، واستولى عليها وبقيت تحت سيطرة النورمان[3] ، كما هاجم مدينة المهدية للمرة الثالثة سنة 543هـ/1148م ، وتمكنوا من دخول المدينة ، وأمن جرجي الناس وبعث أسطوله إلى كل من صفاقس وسوسة فملكها ، ثم سيطر أسطول روجار على مدينة بونة سنة 548هـ/1153م ، وسبى أهلها ، وهكذا ملك روجار مدن الساحل كلها ، وظلت تحت سيطرته حتى ظهور الموحدين الذين تمكنوا من تحرير مدن أفريقية من سيطرة روجار [4].

توفى روجار سنة 548هـ/1153م ، وتولى بعده أبنه غليالم ، ولما علم أهالي أفريقية بموت روجار ، ثاروا وخرجوا عن طاعة أبنه ، فثار عليه عمر بن أبي الحسين الغرياني بمدينة صفاقس ، وتمكن أهالي صفاقس من اقتحام الحصن والهجوم على مساكن الفرنج وقتلهم ، وبعث عمر بن أبي الحسين إلى أهالي زويلة يحرضهم على مهاجمة النصارى في مدينة المهدية ، فقدموا ومعهم قبائل بني هلال

---

(1) عبد الله محمد الهوى ، أمية بن أبي الصلت ، ط1 ، دار الأوزاعي ، بيروت ، 1991 ، ص 77 .
(2) ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 343 . التيجاني ، المصدر السابق ، ص 335 .
(3) التيجاني ، المصدر السابق ، ص 241 . ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 343 .
(4) نفسه ، جـ 6 ، ص 332 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص 125 .التيجاني ، المصدر السابق ، ص 341 .

وساعدوا أهالي المدينة على طرد النصارى منها ، كما ثار أهالي كل من طرابلس وقابس[1] .

ثانياً : الآثار الاقتصادية

أ ــ الزراعة :-

ذكر كثير من المؤرخين[2] أن دخول بني هلال إلى أفريقية ، سبب أزمة اقتصادية ، وأدى إلى تدهور الوضع الاقتصادي في أفريقية ، لكن المتصفح لمصادر القرنين الخامس والسادس الجغرافية ، يلاحظ أن إمكانيات أفريقية الزراعية لم تتأثر بقدوم بني هلال ، فقد تحدث البكري وهو من مؤلفي القرن الخامس ، عن مدن إفريقية ووصف خيراتها ، فذكر عند حديثه عن مدن قلشانة* وجلولاء وسوسة وتونس بأنها كثيرة الخيرات والثمار، المتمثلة في شجر التين والتمر والفواكه ، وبها الكثير من الأسواق الكثيرة المتاع[3] ، وظلت الحركة التجارية في تونس مستمرة ، بعد دخول قبائل بني هلال إلى أفريقية ، وزاد نشاطها التجاري ، وارتبطت تونس بعلاقات تجارية مع النصارى في إيطاليا ، وأدى ذلك إلى رخاء لم يكن منتظر[4].

تحدث البكري واصفاً الكثير من مدن أفريقية منها توزر وجربة وصفاقس والقيروان وبسكرة ، وذكر كثرة أشجار الزيتون بهذه المدن[5] .

ثم يتحدث عن الغلات الأخرى المتوفرة في باقي مدن أفريقية كالحنطة والفول والفواكه والقطن وباقي المنتوجات فيقول أن مدينة الأنصاريين ((طيبة الأرض ، كثير الريع حنطتها أجل حنطة لأفريقية)) ، ومدينة باجة وبها ((حمص وفول قلما يرى مثله ، وتسمى هرى* أفريقية، لريع زرعها وكثرة رفائعها ، وأنها حصينة ، لينة الأسعار أمحلت البلاد أو أخصبت ، إذا كانت أسعار القيروان نادرة))[6] .

---

(1) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 11 ، ص ص 187-203-204.

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6، ص 43 . ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ 1 ، ص 264 . ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ 8 ، ص 56.

(3) البكري ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص ص 681 ، 686 ، 389 ، 696 .

* قلشانة : مدينة جنوب شرق القيروان بحوالي 12 ميلاً .

(4) عبد الرحمن ياغي ، حياة القيروان وموقف ابن رشيق ، ط1 ، دار ريحاني ، بيروت ، ص 74.

(5) البكري ، المصدر السابق ، ص ص 713 ، 715 ، 708 ، 668 ، 669 ، 678 . .

* هرى : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة هري .

(6) البكري ، المصدر السابق ، ص ص 706 ، 718 .

ومدينة تنس ((حولها بساتين كثيرة ، ويجود عندهم القطن ، وهي كثيرة اللحم ، رخيصة السعر)) ، مدينة الغدير بها ((أسواق عامرة ، فواكه كثيرة ، وهي رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار ، وقنطار العنب فيها بدرهم))[1] .

وتحدث الإدريسي عن أفريقية وهو من مؤرخي القرن السادس [2]،وأكد على
وفرة الإنتاج الزراعي وتنوعه في الوقت الذي كانت فيه قبائل بني هلال بأفريقية ، فذكر أن مدينة جلولا ((مدينة صغيرة .... بها ماء جارية ، عليها بساتين كثيرة ونخل كثير)) ، وتحدث عن كثرة مزارع الحنطة والشعير بمدينة تونس قائلاً ((مدينة حسنة يحيط بها من جميع جهاتها فحوص ومزارع للحنطة والشعير ، وهي أكبر غلاتها ، وجل معاملات أهلها مع ثقات العرب وأمرائها)) ، كما تحدث عن الزراعات المتنوعة بمدينة توزر ، فذكر أن ((بها نخل كثير جداً ، وتمرها كثير يعم بلاد أفريقية ، وبها الأترج الكبير الحسن الطيب ، وأكثر الفواكه التي بها في حالة معتدلة ، وبقولها كثيرة موجود متناهية في الكثرة والجودة)) وذكر عند حديثه عن مدينة صفاقس ، أن ((جل غلاتها الزيتون والزيت ، وبها منه ما ليس يوجد بغيرها مثله)) ، وتحدث عن مدينة جربة فقال ((فيها نخل وكروم)) .

وذكر أن أهل مدينة سبيبة تقوم زراعتهم على أنواع كثيرة من البقول فيقول أن ((مدينة أزلية .. شربهم من عين جارية كبيرة عليها جناتهم وبساتينهم وغلاتهم من الكمون والكروياء والبقول)) وتحدث عن خيرات قرية طامجنة فقال ((لها فحص كبير حنطتها وشعيرها ممكن كثير ورخيص جداً))[3] .

وأكد مؤلف الاستبصار أيضاً ، على ازدهار ووفرة الإنتاج الزراعي حتى بعد قدوم بني هلال ، فيذكر عند حديثه عن مدن أفريقية وإنتاجها الزراعي ، أن مدينة جلولاء((كثيرة البساتين والأشجار ، وغزيرة الفواكه والثمار والازهار)) .

وعند ذكره لمدينة تونس يقول((بها أطيب الثمار والفواكه من اللوز والرمان والأترج والسفرجل والتين)) .

---

[1] نفسه ، جـ 2 ، ص ص 723 ، 724 .

[2] الإدريسي ،أبو عبد الله محمد بن محمد ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، جـ 1 ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1989ف ، ص ص 295 ، 284 ، 277 ، 281 .

[3] نفسه ، جـ 1 ، ص ص 295 ، 306 .

وذكر أيضاً أن بلاد الجريد هي أكثر بلاد أفريقية إنتاجاً للتمور ، بسبب كثرة أشجار النخل بها ، فهو يقول ((أنه في سور هذه المدينة . يقصد قسطنطينية . مدينة نفطة ، ولها غابة كثيرة النخل والبساتين وجميع الفواكه ، ومدينة بقتوس أوفرها إنتاجاً للزيتون ، كما أن بها نخيل كثير وجميع الفواكه)) [1].

ومن خلال ما سبق يلاحظ أن الإنتاج الزراعي لم يتأثر بدخول قبائل بني هلال ، واستمرت المدن في زراعتها ، وهذا ما أكده مؤرخو القرنين الخامس والسادس .

ب ــ الصناعة:-

كما أكد المؤرخون على تواصل استمرار الإنتاج الزراعي ، في القرنين الخامس والسادس ، فأنهم رأوا أن الصناعة في أفريقية ، والتي اشتهرت بها قبل دخول بني هلال إلى أفريقية ، ظلت على حالها ، بل وزادت لأن قبائل بني هلال من الرعاة الرحل ساهموا في زيادة المنسوجات ، التي تعتمد في الأساس على المنتجات الحيوانية، وذكر أهل مدينة صفاقس اشتهروا بالقصارة والكمادة ، وأشار إلى كثرة الصناعات النسيجية بمدينة سوسة وأن لها غزل يباع زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب ، كما يوجد بها خدمة تقصير الثياب ، فأهل القيروان يبعثون بثيابهم الرفيعة إلى خياطي سوسة لتقصيرها ، واشتهر بمدينة طراق الكساء الطراقي[2] .

وتحدث الزهري عن الصناعات بأفريقية ، وذكر أن القيروان بما ((السوسيات وثياب الصوف الغالية والمقاطع المهدويات وثياب المقصورة)) وذكر أن بتونس ((ثياب من الكتان تضاهي ثياب الحرير)) [3] .

أما الإدريسي فيذكر عند حديثة عن الصناعات بأفريقية أن المهدية تصنع بها الثياب الحسنة الرقيقة الجيدة المنسوبة إليها . وذكر أن مدينة آزكى وهي على بعد ثلاث عشرة مرحلة من سجلماسة يصنع أهلها منسوجات من الصوف يسمونها

---

[1] مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأوصار ، تعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، بغداد ، 1986ف ، ص ص 119 ، 113 ، 116 ، 121 ، 155 ، 156 .

[2] البكري ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص ص 669 ، 691 ، 707 .

[3] الزهري ، المصدر السابق ، ص ص 108 ، 109 .

القداور وأشار إلى جودة المصنوعات في بلاد السوس وقال أنه ((يعمل ببلاد السوس من الأكسية الرقاق والثياب الرفيعة ما لا يقدر أحد على عمله بغيرها من البلاد)) .

وذكر أن مدينة قابس بها مدابغ للجلود ، أشارة إلى وجود صناعات جلدية ، وذكر أن بالقرب من هذه المدينة ، مدينة صغيرة تعرف باسم قصر سجة بها باعة وحريريون كثير[1] .

ومما سبق نخلص إلى أن الصناعة استمرت في أفريقية ، واستمر تنوع المنتوجات الصناعية ، وأن دخول قبائل بني هلال إلى أفريقية ساهم في زيادة الصناعات التي تعتمد على المنتوجات الحيوانية ، المتمثلة في الصوف ، الجلود .

ج ــ التجارة :-

تعتمد التجارة دائماً على صادرات وواردات ، وقد كانت أفريقية في القرن الخامس الهجري ، وهي فترة وجود قبائل بني هلال فيها ، بها حركة تجارة متنوعة سواء بين مدن أفريقية ، أو بين أفريقية وغيرها من الدول المجاورة ، وأكد البكري على وجود تجارة داخلية بين المدن ، فقد ذكر أن القيروان يصل إليها منتوجات المدن المجاورة فيصلها التين الأخضر من قلشانة وأصناف الفواكه من قابس ، ويردها كل يوم من مدينة جلولاء أحمالاً من الفواكه والبقول ، ويصل إليها الفستق والتمر والفواكه المنوعة من قفصة ، وتقوم القيروان بتوزيعه على باقي مدن أفريقية ، ويفيد البكري أن مدن أفريقية تستورد الزيت من صفاقس والتمر من توزر فيخرج منها في أكثر الأيام ألف بعير موقورة والحبوب من باجة لكثرتها [2]،أما تجارة أفريقية مع الدول المجاورة فيذكر أن ((ساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان)) وإن مدينة صفاقس بها ميناء للسفن ويقصدها التجار من مصر وصقلية وبلاد المغرب وبلاد الروم لشراء الزيت والمتاع [3].

وذكر أن المهدية شكلت ميناءً دولياً ، فتحدث عن المهدية قائلاً ((هي مرفأ لسفن الإسكندرية والشام وصقلية والأندلس وغيرها)) ، وأن مدينة بونة ((بها مرفأ للسفن)) .

---

(1) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ص 281 ، 252 ، 227 ، 279 .

(2) البكري ، المصدر السابق ، جـ 2 ، ص ص 681 ، 666 ، 686 ، 707 ، 708 .

(3) نفسه ، جـ 2 ، ص ص 666 ، 669 .

أما الإدريسي فقد ذكر أن مدينة قابس بها ((زيتون كثير ، يستعمل منه زيت كثير يتجهز به إلى سائر النواحي)) . وتحدث عن مدينة بونة وذكر أن بها أسواق حسنة وتجارة مقصودة ، وهذا فيما يخص التبادل التجاري الداخلي بين مدن أفريقية ، أما على صعيد التجارة الخارجية ، فقد ذكر الإدريسي أن مدينة المهدية يصنع بها الثياب الحسنة ((يحمل ويتجهز به التجار إلى جميع الآفاق في كل وقت وحين)) وتحدث عن تجارة مدينة المهدية قائلاً ((لهم معرفة زائدة في التجارات)) وعند حديث عن مدينة تونس ، أن بها ميناء تصل إليه المراكب والحمالة والنواشي والحرابي وترسي به ، ومدينة سوسة بها متاجرة كثيرة ، ويقصدها المسافرون لابتياع البضائع المتمثلة في الثياب والعمائم الجيدة ، وأن بها أواق عامرة [1].

الملاحظ أن حركة التجارة بأفريقية ، لم تتعطل بسبب دخول قبائل بني هلال ، وإنما استمرت كما هي .

---

[1] الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ص 280 ، 291 ، 281 ، 282 ، 286 ، 303 .

ثالثاً : الآثار الاجتماعية

1 ـــ الناحية الاجتماعية:

أكد الكثير من المؤرخين[1] أن دخول قبائل بين هلال إلى أفريقية ساعد في تعريب المنطقة ، وفي انتشار اللغة العربية بصورة واسعة شملت المدن والقرى والأرياف ، فقد ذكر ابن خلدون أن سكان أفريقية ((نسوا رطانة لأعاجم وتكلموا بلغات العرب ، وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم)) ، وكان لدخول قبائل بني هلال أثره على العنصرين البربري والعربي ، فقد حدث تغيير في اللسان البربري فقد أثرت لغة التخاطب العربية لقبائل بني هلال في اللسان البربري ، وحفت حدة اللهجة المحلية في القرى البربرية ، ولم يكن هذا التأثير يحدث لولا الاحتكاك والاختلاط .

وذكر عبد الحليم عويس أن ((دخول بني هلال إلى أفريقية اعتبر فتحاً اجتماعياً وجنسياً ، نجح أصحابه في فرض عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم)) [2].

وكانت قبائل بني هلال تسكن الخيام ، وذكر البكري أن الواصلية* لها خيام كخيام العرب ، فربما كان للبربر خياماً ولكن لم تكن تشبه الخيام العربية فلاحظ البكري أن أهل تاهرت تأثروا بقبائل بني هلال ، وصارت خيامهم تشبه خيام بني هلال[3] .

انتشر بنو هلال في أغلب بقاع أفريقية ، واختلطوا بالعناصر البشرية المختلفة الأرومة بربرية وعربية فتغذى الدم المغربي بالدم العربي الجديد[4] .

يذكر ابن خلدون أن أحد أمراء بنو عامر بن زغبة من بني هلال ((نزل على السلطان أبي سعيد وأصهر إليه ابنته فأنكحه عامر إياها وزوجها إليه ، ووصله بحال)) ، وهذا يدل على الاختلاط بين الجنسين العربي والبربري وهذا الاختلاط سهل انتشار اللغة والعادات التقاليد العربية بين السكان [5].

---

[1] ابن خلدون ، العبر ، جـ 6 ، ص 204 . محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس ، د.ط ، المطابع الموحدة ، تونس ، 2008 ، ص 51 . جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 235 . السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 587 . حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، د.ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998ف ، ص 51 .

[2] عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ط2 ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، 1991 ، ص 236 .

* الواصلية ، أحدى الجماعات الدينية

[3] البكري ، المصدر السابق ، جـ 2 ، 735 .

[4] مراجع عقيلة الغناي ، المرجع السابق ، ص 29 .

[5] ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ6 ، ص 108 .

وقد نشأ من هذه المصاهرات جيل جديد له قوة ونجدة ، ولغة عربية فصحى ، كذلك لا ننسى أن قبائل بني هلال عند هجرتهم واستقرارهم في أفريقية كان لديهم من العصبية القبلية والنجدة الحربية والنخوة التي أكسبهم إياها استقلالهم بسكني الصحاري وخيام الشعر والوبر كل هذا جعلهم يمتازون ببلاغة القول في الكلام وسرعة البديهة والفروسية والشجاعة ، كذلك ساعدت هذه المصاهرات في انتشار الزي العربي وركوب الخيل وكسب الإبل ، كما أن قبائل بني هلال تمسكت بكل مظاهر الحياة الاجتماعية حيث نقلوها معهم إلى أفريقية وانتشرت بين سكانها[1] .

وقد ظهر عدد من العباد والزهاد من قبائل بني هلال ، ومنهم على سبيل المثال سعادة القائم نشأ عابد زاهد، ارتحل إلى المغرب ولقي الشيخ أبا إسحاق التسولي ، وكانوا يدعوا إلى إقامة السنة وتغيير المنكر ، ومنهم أبو يحيى بن عمر شيخ بني محمد بن مسعود ، وعطية بن سليمان بن سباع وعيسى بن يحيى بن إدريس ، وحسن بن سلامة وهجرس من بني علي[2] .

ذكر جوستاف لوبون في حديثة عن تأثير قبائل بني هلال في سكان أفريقية ((اختلطوا بالسكان رويداً رويداً ، وزاد عددهم شيئاً فشيئاً وفرضوا بفضل كثرتهم على البربر عاداتهم ودينهم ولغتهم بعد بضعة أجيال)) [3] .

ونتج عن الاختلاط والامتزاج بين قبائل بين هلال وقبائل أفريقية أن بعض القبائل البربرية تعربت بالكامل كقبيلة دكالة[4] .

أيضاً قبيلة هوارة فقد ذكر ابن خلدون[5] أنهم ((صاروا في عداد ناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل ، وكسب الإبل وممارسة الحروب ، وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف وهم قد نسوا رطانة البربر ، واستبدوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم)) .

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية ، د.ط ، مكتبة المنار ، تونس ، 1964م ، ص ص 71 ، 72 ، 106 ، 107.

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 81 .

(3) جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، ط4 ، مطبعة عيسى البابي ، د.ت ، ص 257 .

(4) حسن علي حسن ، دراسات في تاريخ المغرب العربي ، د.ط ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ص 168 .

(5) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 150 .

والملاحظ مما ذكره ابن خلدون أن الامتزاج بين بني سليم وهم الذين جاءوا مع قبائل بني هلال وبين قبيلة هوارة ، كان في اللغة ، وفي الملابس وفي نمط الحياة وركوب الخيل وهذا يدل على أن هوارة اختلطت بالعرب حتى صارت وكأنها منهم ، وهناك بعض من بطون رياح من قبائل بني هلال ، اختلطت بسكان أفريقية ، فصاروا في عداد القبيلة التي اختلطوا بها ، فبطن عتبة بن مالك بن رياح اختلط مع قبيلة هوارة فصاروا في عدادهم .

لقد غيرت قبائل بني هلال التكوين البشري لسكان أفريقية وصارت أفريقية والمغرب عربياً كله[1].

2 ــ الناحية الثقافية :-

كانت تأثير قبائل بني هلال في أفريقية من الناحية الاجتماعية ، قد تبعه تأثيراً ثقافياً ، فقد ذكر شارل أندري في حديثة عن الهجرة الهلالية قائلاً :- ((كانت من أهم الأحداث الثقافية التي عرفتها بلاد أفريقية والمغرب ، أثناء العصور الوسطى ، فهي التي أثرت تأثيراً كبيراً في وضع المغرب بطابع لم تمحه القرون))، وذكر أيضاً ((أنها أحدثت تغيراً حاسماً على التقاليد القديمة الراسخة في البلاد ، حولت الكثير منها إلى عوائد عربية عدنانية ، تمت بأصولها إلى عادات وأخلاق منقولة من الحجاز ونجد وتهامة)) [2] .

كان بنو هلال عندما وصلوا أفريقية ، يرسلون بأخبار معاركهم مع الزناتيين إلى بني عمهم في مصر ، فينظمها شعراؤهم في صورة قصص شعبي عربي مصري ، عرفت بقصة الهلالية أو (السيرة) ، وبطل القصة يسمى أبو زيد الهلالي ، أما خصمه فكان الزناتي خليفة ، وتعتبر هذه السيرة من أبرز الملاحم الشعبية العربية وقد امتازت بطابع قصصي شعبي خالص ، جعل لها مكانة مرموقة في الأدب الشعبي[3] .

---

[1] حسن مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، د.ط ، دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ، د.ت ، ص 156 .

[2] شارل أندري جوليان ، تاريخ شمال أفريقيا ، تعريب : محمد مزالي وبشير سلامة ، جـ2 ، د.ط ، تونس ، 1978ف ، ص ص 97 ، 98

[3] عصام الدين عبد الرؤف الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ، د.ط ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1984 ف ، ص 188 .
- Giovanni(C), Asp ectsdelafratilion e'pique vivante en Egypteet Syrie, Hammamet, Tunisi, Juin , 1980 . p36 .

وتعتبر هذه الملحمة من أشهر آثار الأدب الشعبي العربي وتدور هذه القصة بالإضافة إلى الجانب العاطفي حول الصراع بين قبائل بني هلال وقبائل المغرب[1].

وشكل اصطدام قبائل بني هلال ، بالسلطة المركزية في أفريقية المتمثلة في الدولة الصنهاجية العامل الأساسي في ظهور السيرة الهلالية بهذا الاسم لأن القيادة كانت فيهم في فترة صداماتهم مع الدولة الصنهاجية [2].

وعن سيرة بني هلال تحدث عبد الجواد الصادق[3] نقلاً عن ج سيلفير أن دخول قبائل بني هلال إلى أفريقية ، والمعارك التي خاضوها للسيطرة على البلاد ، كل ذلك يشكل الأساس التاريخي لمجموعة من الحكايات عن البطولة وهي ملحمة بني هلال المعروفة بسيرة بني هلال ولهذه السيرة راويتان الشامية والحجازية .

وذكر أن سيرة بني هلال مرت بثلاث مراحل وهي :-

1. بنو هلال في بلاد السرو وعبادة
2. الريادة .
3. التغريبة وهو خروج قبائل بني هلال إلى المغرب .

وقد بدأت السيرة الهلالية في أفريقية منذ قدوم قبائل بني هلال في القرن الخامس الهجري وظلت هذه السيرة تتطور [4] .

وتحكي سيرة بني هلال أن سبب الهجرة ،هو الجفاف والقحط الذي أصاب بلاد العرب ، ودفع بأحياء بني هلال إلى أن يتجمع أمراؤها وفرسانها وكان منهم أبوزيد وذياب بن غانم والقاضي بدير فائد ، وبعد التشاور قرروا المغادرة للبحث عن مكان يتوفر به المرعى والخصب في بلاد المغرب ، وصحب أبو زيد معه يونس ويحيى ومرعي ، وأنشد أبو زيد هذه الأبيات :-

يقول أبو زيد الهلالي سلامة ونيران قلبي زايدات اللهايب
اسمع كلامي يا أمير أبو علي ولله لقولي فاهما ثم حاسب
غدونا بعون الله جل جلاله نورد دروب الغرب بم المغارب

---

[1] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 149 .
[2] علي محمد برهانة ، سرة بني هلال ، ط1 ، جامعة سبها ، 1994ف ، ص 72 .
[3] الهجرة الهلالية إلى أفريقية الزيرية ، جامعة الفاتح ، 1988ف ، رسالة غير منشورة ، ص 118 .
[4] علي محمد برهانة ، المرجع السابق ، ص 67 .

وفي صحبتي مرعي ويحيى ويونس من اجلهم ذا الناجع باكي وناحب
ودعتكم لله ربي وخالقـي ومن يلتجي لله ما راح خايب

وعند الرحيل أنشد الأمير حسن بن سرحان هذه الأبيات :

يقول الفتى حسن الهلالي أبوعلي دمعي جرى فوق خدي سكايب
ونيران قلبي لكما أقول تنطفي يزيد لها بين الضلوع لهايب
أودعتكم لله ربي وخالقـي ومع أودع الرحمن ماراح خايب
وإذا أردتم تدخلون مدينـة فيونس تراه يشتري ويحاسب
وإذا جادلتم عالما بطريقكم فمرعي على ذاك الجدال يجاوب
وأبقوا ليحيى حارساً لجمالكم فأنه سيحميها من الأعـارب[1]

ومن أشعار الجازية ما يلي :

لا خير في الطفل الصغير إذا نشأ وكان رقاد كثير همائـده
إذا ما قض الشرق والغرب وألسوا وقطع بين الثنايا مـزاوده
إما يموت ويرتاح من عيشة الردّى وإلا يرجع كما الصقر مالي مخالبه[2]

ظهر كثير من شعراء بني هلال ومنهم الشاعر أبوعمران شاكر بن عامر الهلالي[3] ، وكذلك أبو شاكر عامر بن محمد بن عسكر الهلالي وكان أميراً وشاعراً .

وساعدت قبائل بني هلال على نشر الثقافة العربية بالمنطقة ، بعد أن تعلم الكثير من أهل البلاد اللغة العربية على يد هذه القبائل[4] .

ذكر حسن علي حسن في حديثه عن دخول قبائل بني هلال أفريقية وما نتج عن هذا القدوم ، "استطاع العرب الهلاليون أن يلعبوا دوراً خطيراً في إقليم المغرب

---

(1) عبد الجواد الصادق ، المرجع السابق ، ص 119 .
(2) حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات تونسيات ، ط2 ، مكتبة المنار ، تونس ، 1966ف ، ص 93 .
(3) العماد الاصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق : عمر الدسوقي و علي عبد العظيم ، ق4 ، جـ1 ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1964 ، ص ص 163-164 .
(4) حسن علي حسن ، دراسات في تاريخ المغرب العربي ، د.ط ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، د.ت ، ص 168 .

وظلوا منذ هذه الفترة (ق 5 هـ) يؤثرون في تاريخ هذه المنطقة ، وظهرت بصماتهم واضحة في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي"[1] .

ما ذكره حسن علي يدل على أهمية ما قامت به قبائل بني هلال سواء على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، فوجود هذه القبائل لم يكن سيئاً كما اعتقد البعض ولكن كان لوجود قبائل بني هلال في المنطقة آثاره الحسنة والإيجابية كما ذكر .

وكان لسيرة بني هلال تأثيرها البالغ ، ولعدة قرون على ثقافة وفن ومعتقدات شعوب البربر في منطقة المغرب وموريتانيا وغرب الصحراء والهوسا والطوارق[2].

---

(1) نفسه ، ص 168 .

(2) Harny Noeeis, The influence of the Hilaliyya on the peoples of the southern maghred and western Sudan, Actes dela leretable ronde internationale surla Geste . des Br'ni Hilal , Hammamet , Tunisie, Juin, 1980 . pp 41-50.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة دور بني هلال السياسي والاجتماعي في أفريقية والأندلس ، في الفترة من منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن السابع ، وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج منها :

1. كانت قبائل بني هلال واحدة من أهم قبائل الجزيرة العربية ، ولعبت دوراً في فترة ظهور الإسلام وكان منهم الصحابة ورواة الحديث والقادة الذبن شاركوا مع الرسول ﷺ في كثير من المعارك ، وفترة حكم الخلفاء الراشدين ، وفي زمن الدولة الأموية .

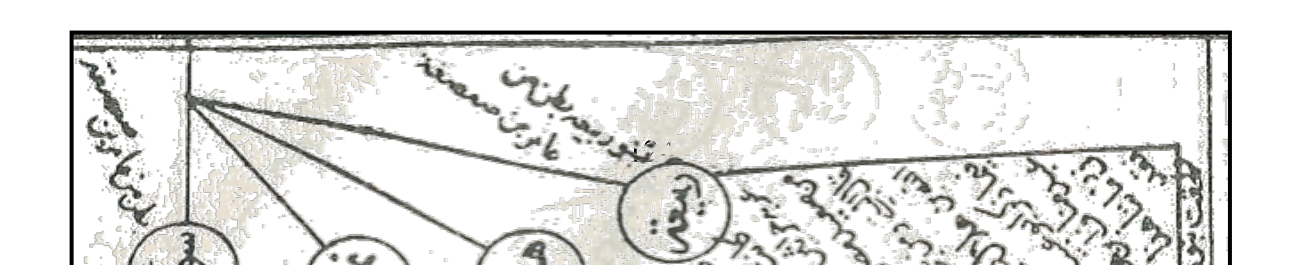
2. أن وصول هذه القبائل إلى أفريقية كان بقرار سياسي فاطمي ، وأن أوضاع إفريقية السياسية كانت تعاني من الضعف والانحلال قبل وصول هذه القبائل.

3. أن الكثير من الخراب والدمار لم يكن سببه بني هلال ، إنما كثرة الثورات والمنازعات في أفريقية ، كان لها نصيب كبير في هذا الدمار .

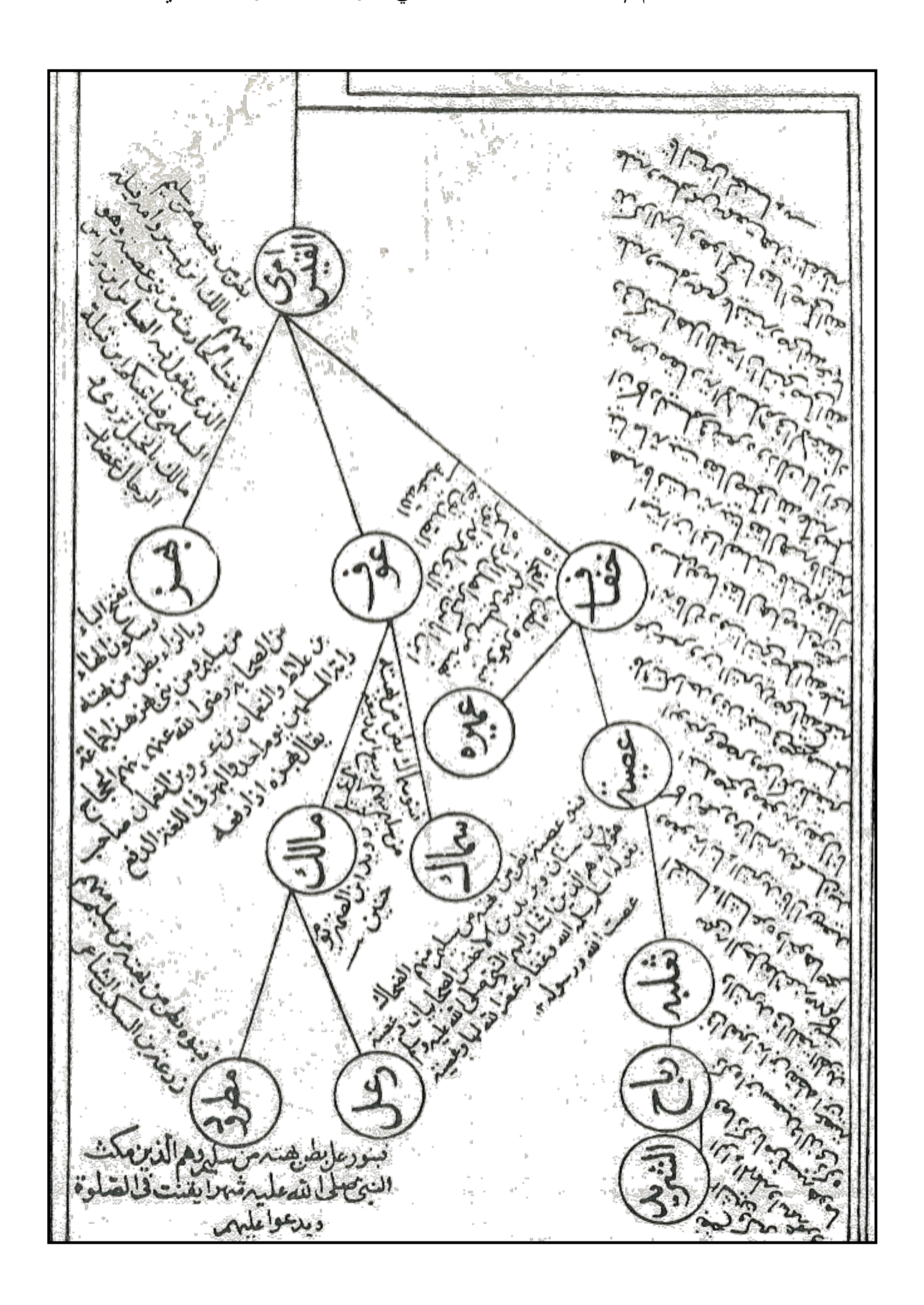
4. كان لقبائل بني هلال دوراً في الدفاع عن مدن أفريقية بالإضافة إلى دورهم الجهادي في الأندلس مع الموحدين ، والتي برز فيها العرب بشجاعتهم وقدراتهم القتالية العالية .

5. كان لهجرة قبائل بني هلال لأفريقية عدة نتائج، فسياسياً تمكنوا من تكوين إمارة قابس التي حكمها بنو جامع مدة من الزمن ، وانشأوا أسطولاً بحرياً ، وكان لهم الجنود والوزراء، فكانت مدينة قابس بمثابة المدينة الدولة، واقتصادياً لم تكن هذه القبائل هي السبب الرئيسي في ضعف اقتصاد أفريقية في القرن الخامس الهجري بل كانت هناك أسباب هامة تتعلق بأفريقية وبأوضاعها الداخلية وثوراتها الدائمة، والتي كان لها التأثير على تلك الأوضاع، وظلت المناطق الزراعية تتمتع بإمكانيات اقتصادية، واستمر نشاطها الصناعي، واجتماعياً كانت أهم نتائج هذه الهجرة هي صبغ أفريقية بالطابع العربي وترسيخ العادات والقيم العربية الأصيلة، وساهمت هذه القبائل في نشر الإسلام في بلاد المغرب ، ولذا فأن ما قاله المستشرقون عن هذه القبائل وما قامت به من تخريب ودمار في نظرهم لا يستتد على أدلة تاريخيه.

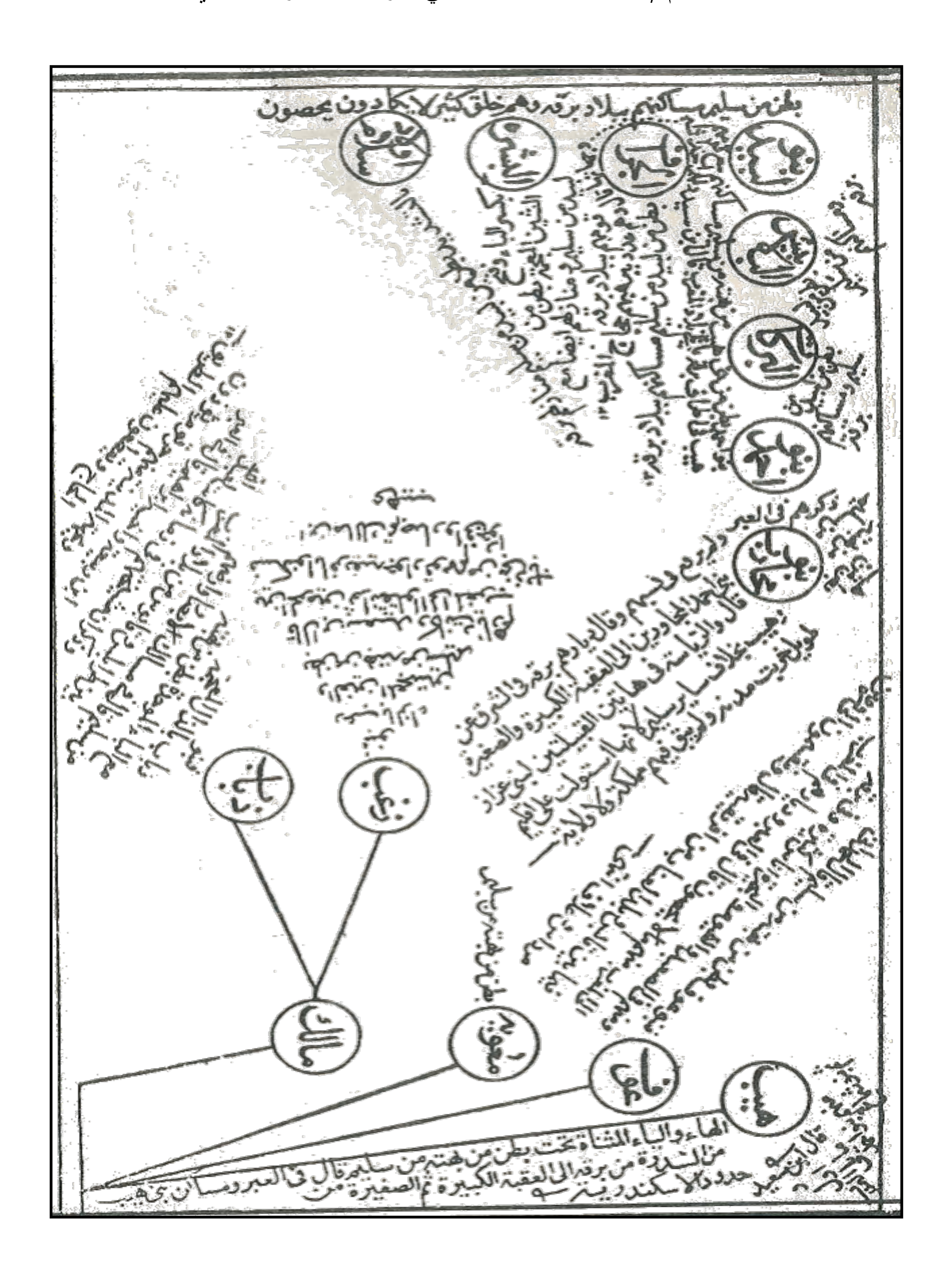
نسب بنو هلال / من كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي



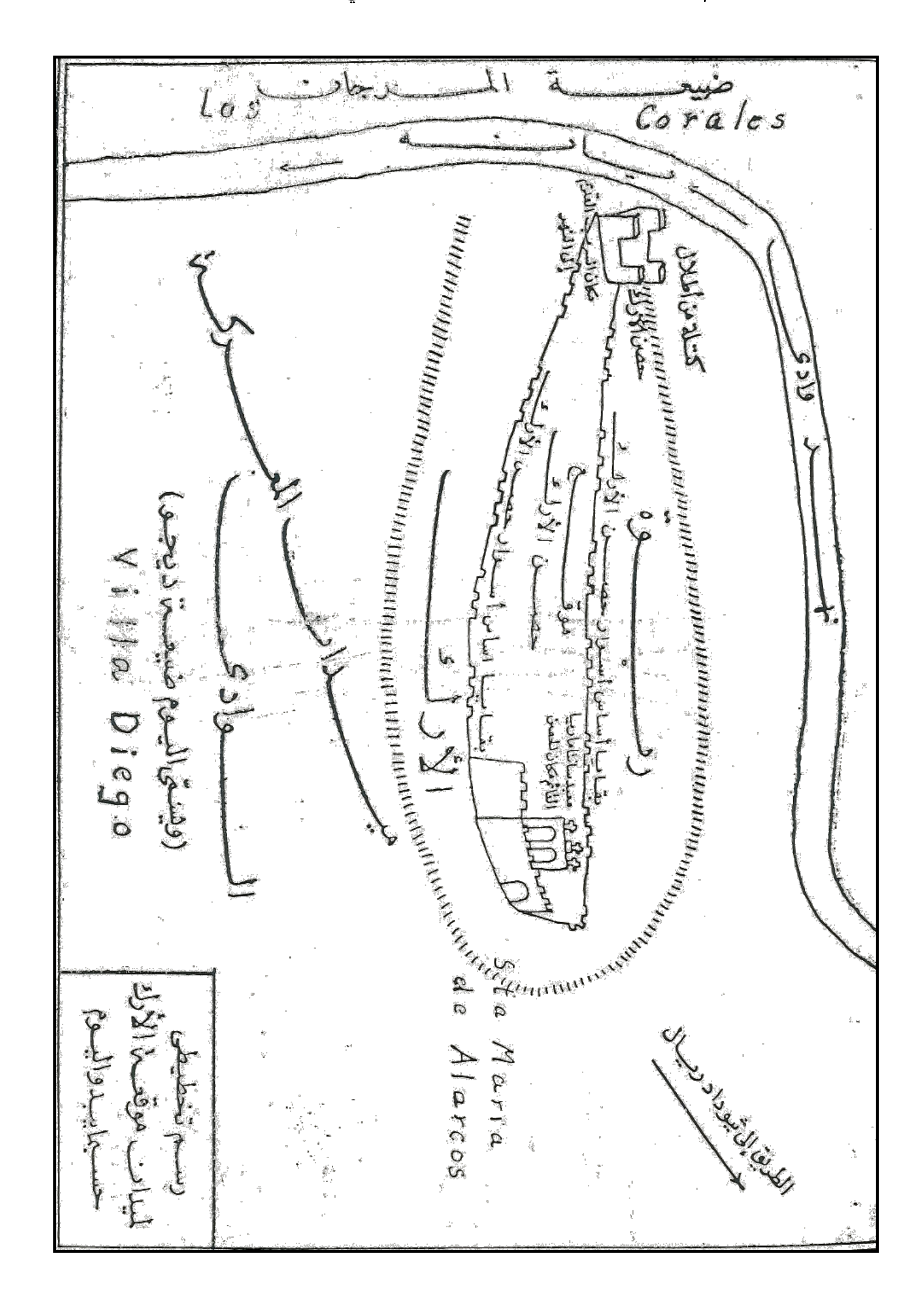
نسب بنو سليم / من كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي



نسب بنو سليم / من كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي



موقعة الأرك/ من كتاب عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس لمحمد عنان



أولا : المصادر العربية .....

- القرآن الكريم .

1- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد ، **الحلة السيراء** ، تحقيق : حسين مؤمن ، د . ط ، دار المعارف ، القاهرة ، 1962 ، ت و 658هـ .

______________ ، أعتاب الكتاب ، تحقيق : محمد الأشتر ، د . ط، مجمع اللغة العربية ، دمشق ،1961 ، ج 2 .

2- ابن أبي دينار ،محمد بن أبى القاسم الرعينى ، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ط3 ، دار المسيرة ، لبنان ، 1993 ، ت و 1110 هـ .

3- أبن أبى زرع ، على بن محمد ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، د.ط ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، المغرب ، 1972 ، ت و 741 هـ .

4- ابن الأثير ، عزالدين ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تقديم : شهاب الدين النجفي ، د.ط المكتبة الإسلامية ، طهران ، الأجزاء {1-3-5-6} ، ت و 630 هـ .

__________ ، الكامل في التاريخ ، مراجعة : نخبة من العلماء ، د.ط ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1980 ، الأجزاء {2-3-4-7-8-9-10-11} .

5- الأدريسى ، أبو عبد الله ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1989، ج1 ، ت و 650 هـ .

6- الأصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ، تصحيح : أحمد الشنقيطي ، مطبعة التقدم ، مصر ، د.ت ، الاجزاء {13-19} .

7- الاصفهاني ، العماد أبو عبد الله محمد ، خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق :عمر الدسوقى و على عبد العظيم ، دار النهضة مصر ، القاهرة ، 1964، ق4 ،ج1 ، ت و 597هـ . .

8- الأنصاري ، أحمد التائب ، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان ، تحقيق : على مصطفى المصراتى ، ط 1 ، المكتب التجاري ، بيروت ، 1963.

9- الألوسي ، محمود شكرى ، بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب ، تصحيح : محمد بهجة ، دار الكتاب العربي ، مصر ، . جـ2 .

10- البخارى ، أبو عبد الله محمد ، مختصر صحيح البخارى ، شرح : سعيد محمد اللحام ، ط1 ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1997 ، الأجزاء {1-2 } ، ت و 256هـ.

11- البكرى ، أبو عبيد ، المسالك والممالك ، تحقيق : أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية لكتاب ، طرابلس ، تونس ، 192 ، ج2 ، 487هـ .

ـــــــــــــــ ، معجم ما استعجم ، تحقيق : جمال طلبة ، د ط ، دار الكتاب الوطنية ، بيروت ، دت .

12- البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحي ، أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، د.ط، دار المعارف ، مصر، ج1 ، ت و 279هـ .

ـــــــــــــــــــ، فتوح البلدان، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، د.ط ، مكتبة النهضة ، القاهرة . ج1.

13- ابن تغرى بردي ، أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1930 ، الأجزاء {2-5}، ت و 874هـ .

14- التيجاني ، أبو محمد عبد الله بن أحمد ، الرحلة ، دار الفرجانى للنشر والتوزيع ،طرابلس ، دت ، ت و 708هـ .

15- ابن حزم ، أبو محمد على ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، ت و 456 هـ .

16- ابن حمد يس ، أبوبكر عبد الجبار ، ديوان ابن حمد يس ، تقديم : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د ت، ت و 527 هـ .

17- الحموي، يا قوت ، معجم البلدان ، تحقيق : فريد عبد العزيز ، د.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،الأجزاء {2-3-4-5} ، ت و 626هـ .

ـــــــــــــ ، معجم الأدباء ، مراجعة : وزارة المعارف العمومية ، ط2 ، مكتبة عيسى البابى ، مصر ،د.ن ،ج11 .

18- أبن حوقل النصيبى ، أبي القاسم ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،1979 ، ت و 367 هـ .

19- أبن الخطيب ، أبو عبد الله محمد ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، دار المعارف ،مصر ، 1995 ، ج1 ، ت و 1041هـ .

20- ابن خلدون ، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1958 ، الأجزاء {2-3-4-6} ، ت و 808 هـ .

ـــــــــــــ ، المقدمة ، تحقيق : حامد أحمد الطاهر ،ط1 ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، 2004.

21- ابن خلكان ، أبو العباس احمد ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق : لإحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1969 ، الأجزاء {1-2-4} ، ت و 681 هـ .

22- ابن خياط ، خليفة ، تاريخ ابن خياط ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ،د.ت ، ت و 240هـ .

23- الدرجيني ، أبو العباس ، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق : إبراهيم طلاي ، مطبعة البحث، قسطنية ، د ت ، ج2 ، ت و 670 هـ .

24- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسينى ، تاج العروس ، دار ليبيا ، بنغازي ، د.ت ، جـ1 .

25- الزبيري ، أبو عبد الله الزبير ،نسب قريش ، تحقيق : ليفني بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، 1951، جـ 1 ، ت و 236 هـ .

26- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط3 ،د.ت ،ج3.
27- الزهرى ، أبو عبد الله محمد أبوبكر ، الجعرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، د.ت ، ت و أواسط ق 6 هـ .

28- ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، دت، الاجزاء { 3 – 6 – 8 - } ، ت و 230 هـ .

ـــــــــــــــــ ، الطبقات الكبير ، تصحيح : أدوارد شيخو ، دار المعرفة بيروت ، 1233 هـ ، الأجزاء { 1 – 2 – 4 – 5 – 7 } .

29- السمعاني ، أبو سعد عبدالكريم ، الأنساب ، تقديم : عبد الله عمر البارودي ، ط1 ، دار الجنان ، بيروت ، 1988ف ، ت و 562 هـ .

37- السيوطي ،جلال الدين ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تصحيح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998 ، ت و 911 هـ .

ـــــــــــــــــ ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق ياسر رمضان و محمد سيف ، ط1، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، 2005 .

30- السويدي ، محمد أمين ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، دار القلم ، بيروت ،د.ت.

31- الشنتريني ، أبو الحسن علي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : أحسان عباس ، ط، دار الثقافة ، بيروت ، 1979، مج 2 ق4 ، ت و 542 هـ .

32- ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد ، تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، السفر الثاني ، ط1، دار الأندلس ، بيروت ، 1964 ، ت و 594 هـ .

33 - الصيرفي ، علي بن منجب ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق : عبدالله مخلص ، مطبعة المعهد العالي الفرنسى ، القاهرة ،1923 .

34- الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جزير.تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، ط6 ، دار المعارف ،القاهرة ، د.ت ، الأجزاء{2-3-7-9} ، ت و 310 هـ .

35- ابن العبرى، غريغوريوس الملطى، تاريخ مختصر الادول ، تقديم : انطوان صالحاني ، ط1 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1980 .

36- العسقلانى ، ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق شهاب الدين أبى الفضل ، دار الكتب العلمية ، مصر ، 1323 هـ ، الأجزاء {2-4} ، ت و 852 هـ.

37- ابن عذراي ، أبو العباس ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج. س . كولان و . ليفى بروفنسال ،د ط ، دار الثقافة ، بيروت ، جـ1 ، د ت ، ت و أواخر ق 7 هـ .

38- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1930 ، ت و 257هـ .

39- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبدا لله ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : على محمد البجاوي ، النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت ،الأجزاء{2-3-4-5} ت و 463هـ .

40- ابن عبد ربه ، أبو عمر احمد بن محمد ، العقد الفريد ، تصحيح : محمد أحمد أمين و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة 1946 ، ج5.

41- أبن غلبون ، أبو عبد الله محمد ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تصحيح : طاهر أحمد الزاوى ، ط2 ، مكتبة النور ، طرابلس ، 1967 ف ،

42- أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل ، المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : سيد محمد عبد اللطيف ، ط1 ، المطبعة الحسينية ، دت ، ج3 ، ت و 732هـ.

43 - القرطبي ، أبو عبد الله محمد ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : محمد بيومي و علي المنشاوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1988 ، الأجزاء { 5 – 8 } .

44- القلانسي ، أبي يعلي حمزة ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت ، 1908 .

45- القلقشندي ، أبو العباس ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، 1982 ، ت و 821 هـ.
ـــــــــــــ ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1922 .

ـــــــــــــ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الأبيناري دار الكتاب ، القاهرة ، دت .

46- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله ، المعارف ، تحقيق : ثررت عكاشة ، ط2 ، دار المعارف ، مصر دت ، ت و 270 هـ.

ـــــــــــــ ، طبقات الشعراء ، تحقيق : مفيد قميحة ومحمد أمين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 .

47- ابن كثير ، إسماعيل ، السيرة النبوية ، تحقيق : عبد الواحد ، مطبعة عيسى البابي القاهرة ، 1965 ، الأجزاء { 2 – 3 } ، ت و 474 هـ.

48- ابن الكلبي ، محمد بن السائب ، الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي ، ط2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1984 ، ت و 146 هـ .

ـــــــــــــ ، أنساب الخيل ، تحقيق : أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، 1984 .

49- الكندي ، ابو عمر محمد بن يوسف ، الولاة والقضاة ، تهذيب : رفن كست ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت ، 1980 .

50- مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق : سعد زغلول ، دار النشر المغربية بغداد 1986 .

51- المراكشي ، عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تصحيح : محمد سعيد العريان ومحمد العربي ، ط1 ، مطبعة الأستقامة ، القاهرة ، 1949 ، ت و 647هـ.

52- المسعودي ، أبو الحسن علي ، التنبيه والإشراف ، مكتبة الخياط ، بيروت ، دت ، ت و 346هـ .

53- مسلم ، أبو الحسن ، صحيح مسلم ، ط1 ، دار التراث العربي ، بيروت ، 1955 ، الأجزاء { 1 – 3 } ، ت و 676هـ.

54- المقري ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : محمد محي الدين ، ط1، مطبعة السعادة ، مصر ، 1949 ، جـ 6 ، ت و 1041 هـ .

55- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق : عبد المجيد عابدين ، ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1961 ، ت و 845هـ .

ـــــــــــــــــ ، المواعظ والاعتبار ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، دت ، الأجزاء { 1- 2 } .

ـــــــــــــــــ ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة أحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1967 .

56- ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله الكبير وآخرون ، الدار المصرية للتأليف ، مصر ، دت ، ت و 711 هـ .

57- الناصري ، أبو العباس أحمد ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء المغربي ، 1954 ف ، الأجزاء { 1 – 4 } ، ت و 1315هـ .

58- النويري ، أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1992 ، الأجزاء { 2 – 15 – 17 – 18 } ، ت و 733 هـ .

59- ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، ط5 ، دار الخير ، دمشق ، 2004 ، ت و 218 هـ .

60- الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن عبد الله النجدي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1953 ، ت و 434 هـ .

ثانياً : المراجع العربية .....

1 – إسماعيل محمد بكر ، مؤمنات لهن عند الله شأن ، ط1 ، دار المنار ، مصر ، 2001 .

2– أشباخ يوسف ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، ط2 ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، 1958 .

3 - أبو الفضل محمد أحمد ، شرق الأندلس في العصر الإسلامي ، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية ، 1996 .

4 – الأبنودي عبد الرحمن ، السيرة الهلالية ، ط2 ، أطلس للنشر والتوزيع ، مصر، 2004 ، ج1 .

5 – أبو النصر عمر ، تغريبة بني هلال ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 .

4 – البرغوثي عبد اللطيف محمود ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، دار صادر ، بيروت ، 1972 .

5 - برهانة علي محمد ، سيرة بني هلال ، ط1 ، جامعة سبها ، 1994 .

6 – تيري جاك ، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي ، ط1 ، الدار الجماهيرية للنشر ، ليبيا ، 2004 .

7 – الجنحاني الحبيب ، القيروان عبرة عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي ، الدار التونسية للنشر ، 1968 .

8 – حسن حسن إبراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1973 .

9 – حسن حسن علي ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1980 .

10 – خليفة رمضان المبروك ، احتلال نورمان صقلية لجزر ومدن ساحل أفريقية، ط1 ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 2003 .

11 – خورشيد عبد الله ، القبائل العربية في مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1992 .

12 – دعبول رضوان ، تراجم وأعلام النساء ، دار البشير ، 1998 .

13 – دلفي حسون ملارجي ، سطور مع نساء مؤمنات ، ط1 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 1971 .

14 - روسي أتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، ترجمة خليفة التليسي ، ط2 ، الدار العربية للكتاب ، 1991 .

15 – زكار سهيل ، أخبار القرامطة ، دار الكوثر ، الرياض ، 1989 .

16 – زيدان جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، دار الهلال ، دت ، ج5 .

17 – سالم السيد عبد العزيز ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، دت .

ـــــــــــــــــ ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،2006 .

18 – سالم لمياء محمد ، بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصادية في القرن الخامس الهجري ، ط1 ،دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 1999 .

19 – الشريف محمد المهدي ، تاريخ تونس ، المطابع الموحدة ، تونس ، 2008 .

20 - العبادي أحمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1987 .

21- عبد الحميد سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، منشاة المعارف ، الإسكندرية 1998 ، ج3 .

22- عبد الوهاب حسن حسني ، خلاصة تاريخ تونس ، ط3 ، دار الكتب العربية ، تونس ، 1953 .

ـــــــــــــــــ ، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية ، مكتبة المختار تونس ، 1964 .

ــــــــــــــــــــــ ، شهيرات تونسيات ، مكتبة المنار ، تونس ، 1972 .

23- على جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط2 ، جامعة ، بغداد ، 1993 ، ج4 .

24 - عنان محمد عبد الله ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ط1 ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، 1964 ، الأجزاء (1 ، 2) .

25 - الغناي مراجع عقلية ، قيام دولة الموحدين ، جامعة قاريونس ، بنغازي 1988 .

26- غوتيه أف ، ماض شمال أفريقيا ، ترجمة : هاشم الحسيني ، دار الفرجاني ، طرابلس 1970 .

27 - كحالة عمر رضا ، معجم قبائل القديمة والحديثة ، ط8 مؤسسة الرسالة بيروت ، 1997 ، الأجزاء { 2 – 4 – 5 } .

ــــــــــــــــــــــ ، أعلام النساء ، ط2 ، المطبعة الهاشمية دمشق ، 1958 ، ج2.

28 - ماجد عبد المنعم ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1982 .

ــــــــــــــــــــــ ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1973 .

ــــــــــــــــــــــ ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، دار المعارف ، مصر ، 1968 .

ــــــــــــــــــــــ ، الإمام المنتصر بالله الفاطمي ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، 1061.

ــــــــــــــــــــــ ، السجلات المستنصرية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دت.

29 - مؤنس حسين ، تاريخ المغرب والأندلس ، مطابع المستقبل ، الأسكندرية ، دت .

30 - مارسيه جورج ، دول المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل ، مراجعة : مصطفى أبو ظيف أحمد ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، 1991 .

31- المرزوقي محمد ، قابس جنة الدنيا ، مكتبة الخانجي مصر ، دت .

32 - المناوي محمد حمدي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي . دار المعارف ، مصر ، دت .

33 - مؤلف مجهول ، سيرة بني هلال ، دار الكتب الشعبية ، بيروت ، دت .

34 - وات مونتجمري ، محمد ﷺ في المدينة ، ترجمة : شعبان بركات ، المطبعة العصرية ، بيروت ، دت .

35- ياغي عبد الرحمن ، حياة القيروان وموقف ابن رشيق ، ط1 ، دار ريحاني ، بيروت .

ثالثاً : الرسائل العلمية .....

- عبد الجواد الصادق الشيباني ، الهجرة الهلالية إلى أفريقية وأثارها العامة ، جامعة الفاتح ، 1988 .

رابعاً : الدوريات العربية .....

1 - دغفوس الراضي " مراحل تاريخ الهلالية في المشرق " مجلة المؤرخ العربي ، العدد الأول .
2 - الطيبي أمين توفيق ، " العلاقات بين جزيرتي جربة وصقلية في أواخر القرون الوسطى " مجلة البحوث التاريخية ، السنة السادسة ، العدد الأول ، يناير ، 1984 م .

ـــــــــــــــ ، " جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة السادسة ، العدد الثاني ، يوليه ، 1984 ف .

ـــــــــــــــ ،" بنو هلال ودورهم ، الجهاد في أفريقية ، والأندلس " مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، يناير ، 1985 .

3 - العلوي التقي ، أصول المغاربة الهلالية بالمغربين الأدنى والأقصى " مجلة البحوث العلمي ، المعهد الجامعي للبحث العلمي ، جامعة محمد الخامس ، المغرب ، العدد 35 ، 1985 .

خامساً : الندوات العربية .....

1- ندوة التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق وشمال أفريقيا قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره ، تحرير : محمود أحمد أبو صوة وآخرون ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر . دار الكتب الوطنية بنغازي ، 2007 .

2- الندوة العالمية الأولى حول السيرة الهلالية ، تقديم : عبد الرحمن أيوب ، الدار التونسية للنشر ، الحمامات – تونس ، 1980 .

سادساً : الدوريات الأجنبية .....

1- Cahen (C) , " Quelques mots sur les Hilaliens ELLenowadisme " in journal of
eseThe Economic And social Histong of Onient , volu me ll , 1968 , P 130 .
2 – Poncet (j) , " Aux sources De LHistore Nor dAfricaine ; Prosperite Et Decadence Ifriqiyeme " Dausles Cahers De Tunisie , No 33 , 1961 , P 232 .

سابعاً : الندوات الأجنبية .....

- AYoub Abderrahman , Actes de la lere table inlernationala sur La Geste des Beni Hilal, Prntation Hammamet , Tunisie , 26 – 29 Juin , 1980 .